الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبيـــة.
وزارة التعليم العـــالي والبحـــث العلمي.

جامعة ابن خلدون –تيارت–
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية.
قسم اللغات والآداب.

بناء الشخصية في رواية بخور السراب.

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في إطـــار مشروع
تطور الرواية العربية بين الكلاسكية والحداثة في الجزائر.

إعداد الطالبة : **إشراف :**

شريط جميلة. أ.د. بشير بويجرة محمد.

أعضاء لجنة المناقشة :

د. بشير محمودي رئيسا. جامعة تيارت.

أ.د.بشير بويجرة محمد مشرفا ومقررا. جامعة وهران.

أ.د.نور الدين صبار عضوا مناقشا. جامعة سيدي بلعباس.

د. محمد داود عضوا مناقشا. جامعة وهران.

السنة الجامعية: 2006/2005م.

المـــقـــدمـــــة:

تعد الشخصية من أهم مكونات الخطاب الروائي، فهي التي تحـــــــرك الأحـــــــداث و تطورها، وتبث الحوار و تجعل النص السردي ينبض بالحياة، حيث اعتبرت بمثابة الركيزة الأساسية التي تتمحور حولها بقية عناصر الخطاب السردي، فهي القادرة على تصوير الواقع بكـــــل من يحمل من هموم و آلام و مآس و آمال.

و قد حظيت الشخصية الروائية باهتمام كبير لم تحظ به بقية العناصر السردية الأخرى، حيث كانت تتمتع بكل الأبعاد الإنسانية، و كل الأفعال و الأقوال التي تؤديها يجب أن تكون ممكنة الحدوث في الواقع، فهي شخصية إنسانية، لها حضور في المجتمع، تتميز بكل ما يتميز به الشخص الحقيقي.

و قد بالغ الروائيون و النقاد الكلاسيكيون في الإهتمام بأمر هذه الشخصية حيث حاولوا أن يتوصلوا إلى حقيقتها الإنسانية، و قد تفنن هؤلاء الروائيون في رسم ملامحها، و التركيز على جوانبها الإجتماعية و النفسية و الأخلاقية، و الكشف عن علاقتها بغيرها في النص السردي.

و قد كان الروائي متأثرا بالفكر البرجوازي في بناء شخصياته و هو يرمـــــز من خلالها إلى حقبة معينة؛ و هي الحقبة التي تمتع فيها الفرد بكامل حقوقه و واجباته، حيث وصل إلى قمة مجده على حد تعبير "آلان روب قريبه".

و قد حاول الروائيون التقليديون من خلال تشكيلهم لهذه الشخصية أن يعطونا نموذجا لشريحة إجتماعية في واقع معيش .

وقد أطلق على الرواية في فترة من الفترات تسمية"فن الشخصية" نظرا لهيمنة هذا العنصر السردي على العناصر الأخرى.

فكل العناصر السردية تدور في فلكـــ الشخصية، فهي التي تؤطر المكان، و تؤدي الحدث، وتصنع اللغة و الحوار، حيث هيمنت هيمنةً مطلقة على البنية السردية، وهذا ما آثار عزيمة الروائيين الجدد للإنتقام من هذه الشخصية التي سيطرت على النص الروائي سيطرة تامة، حيث ضربوا بها عرض الحائط، و اعتبروها مجرد شيء من الأشياء، شأنها شأن باقي المكونات السردية الأخرى، وذلك بمحاولة التسوية بينها وبين هذه العناصر السردية.

و لعل رفض الروائيين الجدد ناتج عن المغالاة في الإهتمام بأمر هذه الشخصية حيث تلقت الضربة القاضية من قبل الرواية الجديدة فتراجعت و انحصرت و ضعف دورهـــا في النص السردي، و أصبحت غير واضحة المعالم، مجهولة من قبل هؤلاء الروائيين الجدد الذين نظروا إليها على أساس أنها كائن ورقي لا يسمن و لا يغني من جوع، فلم يعد يولى لها أي اهتمام، فقد فقدت إسمها و هويتها، و أصبحت تعامل معاملة غريبة. حيث ضاعت منها ملامحها و صفاتها و كل أبعادها الإنسانية.

و هكذا أصبح مفهوم الشخصية في الرواية الجديدة مفهوما معقدا يعكس صورة الإنسان الجديد في عامله الجديد الذي أضحت الرواية الكلاسيكية عاجزة عن تشكيله وبنائه، إذ تغير كل شيء مع بداية القرن العشرين، فأصبحت الشخصية الروائية مهزوزة، محطمة، غير قادرة على تمثيل الواقع الراهن، إذ غير الروائيون الجدد التعامل معها، فأصبحوا يعاملونها معاملة قاسية؛ هذه المعاملة القاسية للشخصية ولدت في نفسي جملة من الدوافع والرغبات دفعتني لاختيار هذا الموضوع نذكر منها:

1- طغيان عنصر الشخصية بشكل لافت للإنتباه في الرواية الكلاسيكية.

2- دور هذا العنصر الفني بالنسبة للبنية السردية.

3- محاولة معرفة الدوافع التي دفعت الروائيين الجدد إلى تحطيم صرح الشخصية تحطيما كليا.

4- باعتبارها القلب النابض في الرواية، فهي التي تحرك الأحداث و تبـــث الحـــوار، و تملأ المكان، و تنشئ العلاقات بينها و بين غيرها.

5- أن الشخصية الروائية هي العنصر الوحيد القادر على تمثل حياة الأفراد في المجتمع.

6- نظرة النقد النفسي إلى هذا الكائن الورقي.

7- المكانة المرموقة التي حظيت بها الشخصية في الرواية الكلاسكية.

تلك هي جملة الدوافع و الأسباب التي دفعتني إلى البحث في هذا الموضوع الموسوم بـــ:"بناء الشخصية في رواية "بخور السراب"".

و قد كانت قضية المنهج شغلي الشاغل منذ بداية هذا البحث باعتباره الأداة الضرورية لكل باحث، حيث اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج البنيوي الذي بدا بشكـــــل

واضـــــــح في علاقة هذا المكون البنائي بالبنية السردية، حيث يسعى هذا المنهج إلى الكشف عن أسرار بنية النص الأدبي و مستوياته، و من خلاله حاولت أن أكشف عن علاقة الشخصية (كبنية لغوية تساهم في بناء النسيج الروائي)، ببقية العناصر السردية الأخرى ،و دراستها و تحليلها، وكذلك أردت أن أكشف عن علاقة البناء الخارجي بالبناء الداخلي للشخصية وانسجامهما ومساهمتهما في بناء و تكامل هذا العنصر السردي، بالإضافة إلى المنهج النفسي الذي يسعى إلى الكشف عن سيكولوجية الأدب، وقد تجلى بصورة كبيرة في الفصل الثاني الموسوم بـــ:

"**البناء النفسي للشخصية**" و ذلك في محاولة التطلع إلى ذلك الجانب الخفي من الشخصية و الكشف عن بعض المكبوتات و العقد النفسية المندسة في اللاشعور التي تجعل منها (الشخصية) موضوعا أساسيا في الدراسة النفسية، و لا غرابة في المزاوجة بين هذين المنهجين، فقد زاوج "لاكان" بين المنهج البنيوي و علم النفس.

و كذلك اعتمدت المنهج السيميائي للكشف عن بعض الدلالات و العلامات في النص السردي من أجل إظهار و توضيح بعض الخصائص السيميائية التي تتعلق بالشخصيات مثل: اسم الشخصية، سن الشخصية و سيميائية اللون عند الشخصية سواء كان لون بشرتها أو لون ملابسها.

و تأسيسا لما سبق فقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة و مدخل و ثلاثة فصول و خاتمة.

ففي المدخل حاولت أن أقوم بمسحة تاريخية حول مفهوم الشخصية في الرواية و نظرة النقاد إلى هذا المفهوم.

أما الفصل الأول فقد كان موسوما بـــ:

"**البناء الشكلي للشخصية** "و قد حاولت فيه إبراز بعض الملامح و الصفات الخارجية المتعلقة بالشخصيات و مدى ما توحي به، سواء تعلق ذلك بطريقة لباسها و هندامها أو ملامح وجهها وصفاتها، كما عرجت على سن بعض الشخصيات، و الدلالات التي يريدها الروائي من وراء توظيفه لأسماء بعض الشخصيات في هذا النص السردي.

و في الفصل الثاني تطرقت إلى "**البناء النفسي للشخصية**" محاولة الكشف عن الحالة النفسية لهذه الشخصية و تأثير الواقع على البناء الوجداني و الفكري لها و لجوئها إلى العزلة، و إنشطار الذات عند الناتجة عن الخوف و التمزق الداخلي الذي أثر عليه

الواقع الخارجـــي، و بعدها تحدثت عن المستوى الثقافي عند بعض شخصيات الرواية والغاية من وراء توظيف الروائي لهذه الشخصيات.

و خصصت الفصل الثالث "لإشكالية التواجد بين الشخصية و محيطها" من خلال محاولة الكشف عن علاقة الشخصية بما يحيط بها، فتحدثت عن علاقتها بالأحداث و الأفعال التي قامت بها، و علاقتها بغيرها من الشخصيات الأخرى، و حاولت أن أجد الإشكالية بيـــن الشخصيـــة والمكان ،وبينها وبين الزمن في رواية"بخور السراب".

أما الخاتمة، فكانت عبارة عن جملة من النتائج المتوصل إليها، و قد ذيلت هذا البحث بفهارس للمصادر والمراجع و الموضوعات و أملي–من وراء هذه الدراسة– أن أكون قد أفدت الأدب السردي بصفة عامة و الأدب الجزائري بصفة خاصة و لو بالشيء القليل لنفتح الباب واسعا أمام الدارسين والمتخصصين في هذا المجال، دون أن يخفى علينـــا أن أي دراســـــة أو بحث لا يخلو من صعوبات ومشاكل، فلا غرو إن قلت إن محاولتي هذه قد واجهتها مشاكل عدة تأتي على رأسها صعوبة اختيار المنهج الملائم لهذا البحث بالإضافة إلى قلـــــة المصادر و المراجع المتخصصة في هذا المجال وكذلك ندرة الدراسات حول أدب المحنة؛ المحنة التي عاشتها شخصيات رواية"بخور السراب".

و ما جاء في هذه الدراسة هو من اجتهادي، أتمنى من الله عز وجل أن أكون قد وقفت في ذلك.

و إقرارا بالحق و الفضل أسجل جزيل الشكر لأستاذي المشرف، الأستاذ"الدكتور بشير بويجرة محمد" لما بذله من جهد و وقت في تقويم ما عوج في هذا البحث، و ما بدا ضحلا من الأفكار و ما قدمه من نصائح و إرشادات وتذليل للصعوبات التي اعترضتني، وما تجشمه من مشقة السفر، جزاه الله عني خير الجزاء و أمده بالصحة و العافية وأبقاه منبعا للعلم و المعرفة .

ولا يفوتني بالمناسبة أن أتوجه بالشكر الجزيل و العرفان الكبير إلى جميع أساتذتي الأفاضل، و أخص بالذكر الدكتور"**محمودي بشير**" رئيس قسم اللغات و الآداب ، الذي كان لي سندا منذ مرحلة ليسانس فهو الذي غرس فينا حب الأدب الجزائري وخاصة السردي منه، فلم يبخل علينا يوما بنصائحه و أفكاره القيمة .

وأ تقدم بالشكر إلى كل من مد لي يد العون و ساعدني من قريب أو بعيد وخاصة أساتذة قسم للغة العربية و آدابها.

شريط جميلة

تبارت في: 2005/11/07

نبذة تاريخية عن مفهوم الشخصية

لقد خضع مفهوم الشخصية عبر مساره التاريخي إلى تحـــولات وتبـــدلات كثيـــرة ومتعددة منذ الإرهاصات الأولى لميلاد هذا المفهوم.

ففي عهد أرسطو "ARISTOT" أُعتبر مفهوم الشخصية مفهوما ثانويا لا أهمية له في غياب الفعل، فالشخصية لا وزن لها إلا في حدود اقترانها بوظيفتها.

ومن ثم نلاحظ أن مفهوم الشخصية قد خضع خضوعا مطلقا للفعل، ولا يمكن لهذا المفهوم أن يخرج عن كونه فاعـــلا يؤدي فعله، فوجود الشخصيـــة متوقـــف على الدور الذي تؤديـــــه،إذ إن غياب الفعل يعني غياب الشخصية فهي ليست "سوى اســـم وفاعـــل لفعل"[1].

ونظرا للمسار المعقد الذي سلكه مفهوم الشخصية، فإنه ليس من الســـهولة بمكـــان التعرف عليه أو تتبعه تتبعا كرونولوجيا حيث كثرت الدراســـات وتعـــددت حـــول هـــذا الموضوع، الأمر الذي دعى بالناقد "فرجيننيا وولف"Vierginia Woolf" إلـــى القـــول: "دعونا نتذكر مدى قلة ما نعرفه عن الشخصية في حدود" 1925"[2].

فلو تصفحنا ما كتب حول الشخصية في القرن التاســـــع عشـــر، لوجـــدنا عـــددا لا يحصـــــى

من الدراسات والبحوث التي تصب في هذا المجال، حيث أصبح مفهوم الشخصية الشغل الشاغل لدى النقاد والباحثين الذين يرون أن التراجع والإعراض عن مفهـــوم الشخصـــية، جاء نتيجة العناية الكبيرة بها، والإهتمام الفـــائق برســـم ملامحـــــها، بيـــد أن تـــودورف "Todorov" قد أرجـــع ذلـــــك إلى كون مفهوم الشخصية مفهوما عسيرا يتأبى على الفهم والوضوح، فـــ "إهمال هذا الموضوع جاء رد فعل على الإهتمـــام الزائـــد بالشخصـــية و الانقياد الكلي لها حتى

---

[1]– مجلة آفاق، (اتحاد كتاب المغرب، العدد، 8، 9، 1988م)، ص 23.

[2]– د. إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، (منشـــورات المؤسســـة الوطنيـــة للاتصال والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت)، ص 149.

أصبح قاعدة لدى نقاد أواخر القرن التاسع عشر"[3] الذين أعطوا الشخصية الروائية عظمة وهمية بين القيم التقليدية التي يؤمنون بها، بينما "**ألان روب قرييه**" "**A.Robbe Grillet**" يرى أن مرد ذلك كان نتيجة صعود الفرد البرجوازي إلى السلطة.

لقد بالغ النقد الكلاسيكي للشخصية في تصويرها والإهتمام بها حيث جعلها ركيـــزة أساسية في النص السردي فهي التي تساهم في تحريك الأحداث وتطورها، وفي صنع اللغة وبث الحوار، ولولاها لما استقام النص الروائي على ساقيه، "فالشخصية في العمل الروائي تشكل إحدى دعائمه الأساسية"[4] فهي المحور الذي تتمركز حوله بقية المكونات الســـردية الأخرى، حيث إنها "كانت تتمتع بسلطة مطلقة داخل النص وخارجه"[5].

ولعل الرواية الكلاسيكية بذلت قصار جهدها في أن تقدم لقرائها شخصيات تتمتـــع بصفة الكينونة والحضور، شخصيات من لحم ودم، تنفع، وتضر، تحيا وتموت حيث كانت هذه الشخصية هي التي "تتحمل كل العقد والشرور وأنواع الحقد و اللؤم"[6].

وهكذا حاول الروائيون الكلاسيكيون أن يجعلوا من شخصياتهم مرآة عاكسة لكـــل مميزات الطبقة الإجتماعية في القرن التاسع عشر، وهي "الحقبة التي وصل فيها الفرد إلى قمة مجده"[7].

---

[3]– م ، ن ، ص 149.

[4]– د. بشير بويجرة محمد، بنية الـــزمن فـــي الخطـــاب الروائـــي الجزائـــري ج2 (1970–1986) (جماليات وإشكاليات الإبداع) (دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2، 2001، 2002)، ص 36.

[5]– تجليات الحداثة، مجلة يصدرها معهد اللغة العربية وآدابهـــا، جامعـــة وهران،العـــدد 03 يونيـــو 1994م، (حركية الشخصية في الرواية الجديدة)، أ. سعيدي محمد، ص 155.

[6]– د.عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة و الفنـــون و الآداب د.ط1998) ص135.

[7]- آلان روب قرييه، نحو رواية جديدة، تر: مصطفى إبراهيم مصطفى، تقديم لويس عوض (القاهرة: دار المعارف بمصر) ص 36.

إن الروائيين التقليديين قد لجأوا إلى التقاط شخصيات رواياتهم من واقع حياتهم، فصوروا ملامح هذه الشخصية وقسماتها أصدق تصوير، وحاولوا أن يمدوها بكل الأبعاد الإنسانية التي توحي بواقعيتها "فالشخصية الفنية ولدت من زواج الكاتب بالواقع"[8].

فلا غرابة إن اعتقدها القارئ كائنا حيا ذا وجود فيزيقي، إذ إن الشخصية هي مركز لحركية المجتمع وتطوره، وهذا ما جعل لوكاتش " Lukacs" يحدد صفتها ووظيفتها بقوله: "بطل إشكالي يقوم ببحث منحط أو شيطاني عن قيم أصيلة في عالم منحط"[9] حيث جعل العلاقة بين الشخصية والواقع علاقة وطيدة.

لذلك استعمل بعض النقاد مصطلح "شخص" بدل شخصية "Personnage" ومن هؤلاء شريبط أحمد شريبط في قوله: "وأحيانا أقوم بتركيب عدة شخوص في شخص واحد"[10].

إن الإعتقاد بأن الشخصية كائن إنساني هو الذي أهلها لأن تحظى بهذه المكانة المرموقة بين بقية عناصر الخطاب السردي، إذ لجأ الكتاب إلى وصفها ورسم ملامحها و صفاتها رسما دقيقا مفصلا من أجل التعرف على طبائعها وصفاتها ، حيث أصبحت هذه الأخيرة "مثلها مثل أي شخصية صادفناها في حياتنا، فأعطيناها صداقتنا أو أفرغنا عليها جام غضبنا"[11].

وقد كانت الشخصية في الرواية الكلاسيكية تتمتع بكامل حقوقها و واجباتها، ظنا منهم أنها شخص حقيقي، ولذلك تطرقوا إلى كل جوانبها وأبعادها سواء الجسمية أو النفسية أو الإجتماعية وحتى الفكرية، حيث يطلق الروائي العنان لخياله يتفنن في تصويرها ورسم ملامحها، فلم يترك شاردة ولا واردة تتعلق بها إلا وراح يصفها ويرسم جوانبها رسما

---

[8]– د. محبة حاج معتوق، أثر الرواية الواقعية الغربية على الرواية العربية،(بيروت: دار الفكر اللبناني، ط1، 1994)، ص65

[9]– إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية، ع، س، ص 150.

[10]–شريبط أحمد شريبط، البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة 1947، 1980،(منشورات اتحاد الكتاب العرب ، د.ط، 1998)، ص 87

[11]– د. بشير بويجرة، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، ع، س، ص 37.

تفصيليا مملا فـ "لم تستطع أية قوة أن تسقط الشخصية من على المنصة التي وضعها القرن التاسع عشر عليها"[12].

وهكذا نالت حظوة كبيرة من قبل النقاد الكلاسيكيين مما دفعهم إلى اختيار أسماء شخصياتهم كعناوين لرواياتهم مثل: رواية "الجازية والدراويش" لعبد الحميد بن هدوقة، "اللاز" للطاهر وطار، ورواية "عزيزة" لفاطمة العقون وغيرها كثير، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الأهمية البالغة التي تميزت بها هذه الشخصية الورقية داخل النص الروائي الكلاسيكي؛ هذه الشخصية التي أتعبت الروائيين التقليديين من أجل تصوير "الكيفية التي تسرح بها شعرها أوالحركة التي تسوى بها ثني سروالها أو ربطة عنقها أو إشعال لفافة تبغها"[13].

ومن ثم كانت الشخصية في الرواية الكلاسيكية محل اهتمام الكثير من النقاد والباحثين الذين تضاربت آراؤهم بشأنها، واختلفت مواقفهم ورؤاهم حولها، وهذا ما جعلها خاضعة للعديد من الدراسات والبحوث، فأنصار النزعة النفسية قد جعلوا من هذه الشخصية كائنا مكتمل البناء والنمو.

لذلك راحوا يبحثون في جانبها الباطني بغية التعرف على حالتها النفسية وطبائعها الخلقية، محاولين بذلك الكشف عن كوامنها ومكبوتاتها، وفي الوقت ذاته أهمل هؤلاء السيكولوجيون وظيفة الشخصية ودورها، واهتموا بها اهتماما كبيرا وعاملوها عل أساس أنها كائن حي أو فرد من أفراد المجتمع.

بل أبعد من ذلك فقد حاولوا أن يثبتوا أن هذه الشخصية ما هي إلا انعكاس لشخصية الكاتب أو المبدع، جاعلين منها شخصا حقيقيا يتمتع بكامل حقوقه الإنسانية.

---

[12]– آلان روب قرييه، نحو رواية جديدة ع، س، ص 36.

[13]– د. عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، (دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2، د.ت)، ص 121

وهكذا فإن هذا المفهوم "لا يمكن أن يكون مستقلا عن المفهوم العام للشخصية والذات والفرد"[14] كما ترى فرانسواز روسوم "Françoise Rossum" ، غير أن الدراسة السيكولوجية قد فرضت بعض الأحكام التعسفية على الشخصية حين حاولت أن تجعلها نسخة من شخصية الأديب أو المؤلف، كما أنها أغفلت وظيفة الشخصية إغفالا تاما، فالحدث من منظور النقد السيكولوجي لا أهمية له، وإنما تكمن الأهمية في هذا الكائن الإنساني الذي هو عبارة

عن جملة من العواطف والمشاعر والإنفعالات وهذا ما جعل الشخصية تكتسب تماسكا سيكولوجيا لم يكن متاحا لها سابقا، "وهكذا كفت الشخصية عن تبعيتها للحدث وتجسد فيها جوهر سيكولوجي"[15] على حد تعبير "رولان بارت" "R. Barthes".

وبذلك فإن الدراسة النفسية قد جعلت من هذه الشخصية "نقطة تمركز تلتف حولها الأحداث والمواقف وتستقطب عناصر السرد وتمتص مختلف الأنوية المشكلة لنسيج النص"[16].

ومع ظهور الدراسات البنيوية بدأت أهمية الشخصية تتضاءل ومكانتها تتقهقر وتتراجع، حيث يرى أقطاب البنيوية أن الشخصية ما هي –في حقيقة أمرها– إلا مجرد فاعل يقوم بتأدية الفعل، فـ "النقد البنيوي استبعد الشخصية كجوهر سيكولوجي كما استبعد الشخصية كلها تماما"[17]فأصبحت الشخصية في منظور هؤلاء البنيويين تأخذ أبعادا ومفاهيم أخرى بعدما كانت تمثل الشخص الحقيقي الموجود في الواقع العياني، حيث جعل "بروب" "Propp" أهمية هذه الشخصية تظهر في جملة من الأفعال والوظائف التي تؤديها

---

[14]– د. إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، ع، س، ص 154.

[15]– م، ن، ص، ن.

[16]– مجلة آفاق، (اتحاد كتاب المغرب، العدد، 8، 9، 1988م)، ص 23.

[17]– محمد عزام ، تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية الحدثية دراسة لنقد النقد (دمشق : من منشورات اتحاد الكتاب العرب د، ط 2003م) ص 113.

واختزلها إلى أصناف بسيطة " تقوم ليس على أساس سيكولوجي وإنما على أساس وحدة الأفعال التي يمنحها السرد للشخصيات"[18].

أما تشومافسكي "Toma Chovskis" فقد تنكر لهذه الشخصية من الأساس، ورأى أنه

لا أهمية لها في النص السردي، بينما "تودوروف" "Todorov" لم يول أي اهتمام لهذا المكون السردي، واعتبر الشخصية مجرد قضية لسانية لا تخرج عن نطاقها اللغوي، كونها تلعب دور الفاعل في الجملة النحوية الذي يقوم بتأدية الفعل المسند إليه، يقول "تودوروف" "Todorov" :

إن قضية الشخصية هي قبل كل شيء قضية لسانية"[19] بينما ذهب ميشال زيرافا" "M.Zeraffa" إلى كونها علامة ودليلا على الشخصية الواقعية، في حين يرى فيليب هامون "Ph Haman" أن " الشخصية في الحكي هي تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص"[20]

وهكذا فإن صورة الشخصية–من منظور النقد البنيوي– لا تكتمل في ذهن القارئ إلا بعد قراءة النص الروائي كلّه، إذ تصبح هو الآخر يساهم في بناء هذه الشخصية و تكوينها ونسج خيوطها .

ولذلك قام هؤلاء البنيويون بتصنيف الشخصية إلى دال ومدلول استنادا إلى ثنائية دي سوسير "De Seussure" فجعلوا "الشخصية بمثابة دال من حيث إنها تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها، أما الشخصية كمدلول فهي مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النص أو بواسطة تصريحاتها، وأقوالها و سلوكاتها"[21]

---

[18]– مجلة آفاق، ع ، س ، ص 17 –18.

[19]– إبراهيم عباس ، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية ع ، س ، ص 154.

[20]– حميد الحمداني بنية النص السردي (لبنان : المركز الثقافي العربي ط1 1991م) ص 51.

[21] – حميد الحمداني، بنية النص السردي، ع، س، ص 51.

ومن ثم استطاع النقاد البنيويون أن يفرقوا بين مفهوم الشخصية في الرواية الكلاسيكية، وبين مفهومها في قص الحداثة.

ولم يخرج عبد الملك مرتاض عن هذا السياق وجعل أهمية الشخصية تتلخص في بناء الحدث في قوله :" فالرؤية مستوية بين المؤلف والشخصية التي أحلّ محلّها السيميائيون ما يطلقون عليه "الفاعل" الذي هو في حدّ ذاته ليس ضرورة أن يكو كائنا إنسانيا خالصا، وإنما قد يكون أيضا مجرد شيء من الأشياء عبر النّص ومع ذلك تراه يسهم في بناء الحدث"[22]

و تهدف الدراسة البنيوية من وراء كل ذلك إلى إبعاد سلطة السيكولوجيين الذي جعلوا

من الشخصية كائنا نفسانيا، يعكس صورة الكتاب والمؤلفين.

وهكذا فإن الشخصية في مفهوم النقد الحديث لم تعد تدل عل ذلك الشخص الحقيقي، بل أصبحت مشوشة داخل النص السردي، لا تحمل أي معنى، ولا تؤدي رسالة فهي شخصية غير واضحة المعالم والصفات، شأنها شأن باقي المكونات السردية الأخرى، فكتّاب الرواية الجديدة " لم يعد باستطاعتهم أن يقدموا لنا سوى أشباح هم أنفسهم قد كفوا عن الإيمان بها"[23]، ذلك أن الروائيين الجدد لم يولوا لها أي اهتمام، فقد ضاع منها اسمها الذي يحدد هويتها، حيث فقدت تلك السلطة المطلقة التي دأبت الرواية الكلاسيكية عليها وبذلك " تعددت مظاهرها وأخذت دلالات جديدة، بل محمولات جديدة فلم يصبح الإنسان هو الذي يحمل دلالة الشخصية ويمثلها في النص السردي بل أصبحت ممثلة بأي شيء من الأشياء"[24]

---

[22] – عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمل بغداد) (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ، د.ط 1993م)، ص:86.

[23] – آلان روب جرييه، نحو رواية جديدة ع، س. ص36.

[1] – بشير محمودي، نظرية الرواية في النقد الجزائري الحديث (رسالة مخطوطة لنيل درجة الدكتوراه 2002)، ص34.

لقد أصبح كل شيء محل شك وريب في القرن العشرين، بما في ذلك الإنسان (الشخصية بمفهوم الرواية الكلاسيكية) حيث أصبحت الشخصية الواحدة تحمل أسماء متعددة وقد تحمل عدة شخصيات اسما واحدا وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على الإهمال الذي تلقته الشخصية من قبل الروائيين الجدد، حيث فقدت طابعها المميز بعدما "كان الإسم مهما جدا في زمن البورجوازية البلزاكية، كان الطابع مهما جدا، فقد كان سلاحا يبارز به وأملا في النجاح والتمرين على السيادة والغلبة"[25]

غير أنّ بعض الروائيين الجدد قد انكروا اسم الشخصية إنكارا مطلقا واكتفوا بإطلاق رمز على اسم الشخصية ومن هؤلاء "كافكا" " Kafka" الذي أطلق على شخصيته حرف "كاف" "K" وبيكيت الذي غير اسم وشكل بطله في عمل روائي واحد، دون أن ننسى "فولكنر" "Folkner" الذي سمى شخصتين مختلفتين باسم واحد، بينما أعلن لوكاتش القطيعة بين البطل والعالم.

كما أن فكرة "البطل" في الرواية الجديدة مغيبة تماما، ذلك أن الروائيين المحدثين تجاوزا الشخصية من حيث هي كائن حي، بل انصب اهتمامهم على جوهر الإنسان حيث " أصبح البطل شخصية عامة، أو الإنسان الصورة أو الإنسان الشبح، الإنسان الذي يحاول توحيد ذاته المشتتة في أكثر من أنا، وكأنها جماعة تتصارع معا، أو كأنه مكان تصطدم فيه الأحداث والقوى القهرية"[26]

لقد أصبحت الشخصية في الرواية الجديدة مشتتة، ممزقة متعددة المفاهيم، غير واضحة المعالم، فقد تكون عبارة عن أي شيء لا علاقة له بالإنسان الواقعي.

أما عن الشخصيات التي جاء بها النقاد في مجال الشخصية فقد كثرت وتعددت حسب الدور الذي تلعبه هذه الشخصية في النص السردي منها:

---

[2] – د. نبيلة إبراهيم، فن القص في النظرية والتطبيق، (القاهرة : مكتبة غريب د.ط. د.ت) ص 173.

[3]– م، ن، ص، ن .

الشخصية الرئيسية، الشخصية النامية، الشخصية البسيطة، الشخصية المساعدة، الشخصية المعارضة ...ثم تعددت التصنيفات بعد ذلك وتنوعت فـ " فليب هـامو" "PH Hamon" قسم الشخصية إلى ثلاثة أقسام:

شخصيات مرجعية، وشخصيات واصلة، وشخصيات متكررة، وكل قسم يتضمن أنواعـا متعددة، أما بروب "Propp" فقد صنفها إلى ستة أنواع: البطل، البطل المزيـف، الآمـر، المساعد، المانح، المغتصب، "أما سوريو" "E.souriou" فقد جعل من شخصياته: البطـل، البطـل المضـاد، الموضـوع، المسـاعد، المرسـل، المرسـل إليـه، إلـى أن جـاء قريماس"Griemas" الذي أخـذ

عن سابقيه، وأسس تصنيفه للنموذج العاملي في ستة مجالات هي:

العامل الذات، العامل المعاكس، العامل الموضوع، المساعد المرسل، المرسل إليه، وهـي شخصيات كثيرا ما تلتقي في مفهوم واحد نتيجة تأثر اللاحق بالسابق لتعبر في الأخير عن شرائح المجتمع أصدق تعبير، فهي الوسيلة الوحيدة لذلك لأنها "بمثابة المعيـار والمجهـر اللذين نفحص بواسطتها نوعية الواقع الإجتماعي"[27]

غير أن النقاد المحدثين يرون أنه من الأجدر أن تصنف الشخصـية إلـى شخصـية مسطحـة

و أخرى مدورة، فالشخصية المدورة هي " تلك المركبة المعقدة التي لا تستقر على حـال ولا تصطلي لها نار، ولا يستطيع المتلقي أن يعرف مسبقا ماذا سيؤول إليه أمرها"[28]

و عليه فالشخصية المدورة هي شخصية معقدة تتطور بتطور الأحـداث، لا تعـرف الثبات والاستقرار، حركتها دائمة و مستمرة.

---

[27] – د. بشير بويجرة، الشخصـية فـي الروايـة الجزائريـة (1970–1983) (الجزائـر: ديـوان المطبوعات الجامعية 1986).ص 36

[28] –د. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية،ع،س،ص101 .

أما الشخصية المسطحة فهي " تلك الشخصية البسيطة التي تمضي علـــى حـــال لا تكاد تتغير ولا تتبدل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها العامة"[29]

من خلال ما سبق يتبن لنا أن الشخصية المدورة أو المكثفة هي شخصية رئيسية لا يمكـــن للنص الروائي أن يتخلى عنها، وكلّ الشخصيات الأخـــرى تابعـــة لهـــا " إذ لا يحـــق إلا للشخصية المركزية أن تكون حياتها كاملة" [2] بينما الشخصية البسيطة أو الثابتة فهي تلـــك التي تمضي على وتيرة واحدة لا تتغير إلا لماما.

و مهما يكن من أمر هذه الشخصية فإنها تبقى لصيقة بالمجتمع تعبـــر عـــن فآتـــه المختلفـــة

و المضطربة. و بعد كلّ هذا تتبادر إلى ذهننا جملة من التساؤلات:

ما علاقة هذا العنصر السردي ببقية العناصر في البنية السردية ؟

وكيف استطاع الروائيون توظيفه توظيفا يعبر عما يعيشه أفراد المجتمع ؟

وهل استطاعت الشخصية الروائية في الجزائر أن تعبر عن أفراد المجتمع خلال العشرية السوداء؟

وما وظيفة الروائي تجاه هذه التغيرات والإضطرابات التي تحدث في المجتمع؟

وهل تمكن الروائي الجزائـــري من تصوير المعاناة والتوترات والاضطرابات التي عاشها أفراد المجتمع خلال سنوات الجمر؟

و هل تعقد الشخصية وتطور مفهومها ناتج عن تعقد الحياة في الرواية الجزائرية بالضبط ؟

وهل موت الشخصية في الرواية الجزائرية الجديدة ناتج عن موت الإنسان؟

---

[1] – د.عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية ، ع، س، ص101.

[2] – محمد الباردي ،إنشائية الخطاب في الرواية العربي الحديثة (دمشق ،اتحاد الكتاب العرب ،د.ط 2000م.ص 56

و كيف ظهرت الشخصيات في الروايات التي عالجت موضوع المحنـــة بعامـــة وروايـــة "بخور السراب" بخاصة وهل استطاعت رواية "بخور السراب" تشخيص العـــالم الـــداخلي والخارجي لشخصياتها؟

الفصل الأول

البناء الشكلي للشخصية

يعد الجانب المورفولوجي للشخصية من العناصر الأساسية التي يجب أن تحظى بالعناية والإهتمام، أثناء دراسة وتحليل هذا المكون السردي (الشخصية)، إذ من واجب الباحثين والدارسين الإشارة إلى أهمية البناء الخارجي للشخصية من أجل التعريف بهويتها و كيفية وصفها، حتى تقدم للقارئ على أساس أنها شخص له مكانته و وجوده في الواقع العياني.

ويتمثل الجانب المورفولوجي للشخصية في رسم ملامحها الخارجية والإهتمام بوصفها وصفا حسيا دقيقا مفصلا أو عاما مجملا حتى " كأن النص السردي استحال إلى ريشة ترسم وتدقق في الرسم، فلا تغادر لونا ولا قامة ولا وزنا ولا صوتا ولا عنين...إلا رسمتها بشيء من التفصيل"[1] الذي يجعل المتلقي يأخذ صورة عن هذه الشخصية و كأنها فرد من أفراد المجتمع.

ولم يهمل الروائي " بشير مفتي" المظهر الخارجي لشخصيات روايته "بخور السراب"، وإنما أعطاها بعض العناية من أجل تصوير هذا الجانب، غير أنه لم يسهب كثيرا في الوصف الخارجي، متحاشيا بذلك نقل الحياة بصورة آلية فوتوغرافية واكتفى ببعض الإشارات التي تخدم الغرض العام الذي يصبو إلى تحقيقه.

وهكذا " ارتسمت الملامح العامة للشخصية" [2] دون تفصيل أو شرح أو توضيح، مثلما هو الشأن في الرواية الكلاسيكية التي تعتمد على" التصوير الدقيق العميق للشخصيات"[3] بهدف إيهام المتلقي أنه يعيش ويتعامل مع أشخاص حقيقيين، إضافة إلى أن الشخصية كانت محط اهتمام من قبل الروائيين والنقاد الكلاسيكيين على حد السواء الذين جعلوها بمثابة الدعامة الأساسية بين بقية مكونات الخطاب السردي، فلم يتركوا للقارئ

---

[1] – د. عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة رواية زقاق المدق) (الجزائر .ديوان المطبوعات الجامعية د.ط 1995م) ص 147.

[2] – د. بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، ع، س، ص128.

[3] – الطيب الصالح، عبقري الرواية العربية.(بيروت:دار العودة ط3 ،1981 م)، ص98 .

فرصة في إجهاد نفسه من أجل إستكمال ملامحها والمساهمة في تصوير و رسم صـــفاتها الحسية.

أما في رواية "بخور السراب"فإننا نجد"بشير مفتي" يصف" ويركز هذا الوصـــــف على ملامح الوجه بالخصوص" [1]دون بقية أعضاء الجسم الأخرى، باعتبار الوجه النافذة التي نطل منها على الجانب الباطني، والحياة النفسية للشخصية، أضف إلى ذلـــك، فقـــد ذكـــر بعض الملامح الأخرى التي تتعلق بالمظهر الخارجي ذكرا مجملا.

1-**ملامح الوجه وقسماته:**من خلال الإطلاع على رواية"بخور السراب" يتبين لنا أن الروائي لم يول اهتماما كبيرا للجانب المورفولوجي، ولم يكن" مولعا إيلاعا شديدا برســـم الملامح الخارجية للشخصيات"[2]وإنما كان تركيزه على تقاسيم الوجه لغاية يريد تحقيقها، حيث وصفه وصفا عاما دون التعرض إلى كل مكون على حدة، فرسم بذلك ملامح وجوه بعض الشخصيات رسما مجملا ليصور لنا من خلال ذلك مدى ما تعانيه هذه الشخصيات من آلام وأحزان ومآس جراء واقعها المعيش، و قد تعبر هذه الملامح و الصـــفات عـــن ماضي الشخصية؛ ذلك الماضي الذي يمثل بالنسبة لها السعادة و الهناء، و بعض ساعات السرور و الصـــفاء، وأيـــام الأمـــن و الإستقرار و الرخاء.

ولذلك لجأ إلى ذكر بعض الصفات الخارجية المورفولوجية دون تفصيل، ولم يركز كثيرا على ذكر الصفات الحسية المتعلقة بشخصية الراوي ، بالرغم من الدور الذي لعبتـــــــه في تحريك أحداث الرواية على غرار بقية الشخصيات الأخرى. فلم تعط هذه الشخصـــية قسطا أوفر من الوصف والتفصيل، لذلك فإننا لا " نستطيع أن نرسم لها صـــورة شـــكلية واضحة المعالم في أذهاننا"[3]،حيث بقيت أهميتها منحصرة فـــي بنـــاء الأحـــــداث و المساهمـــة في تطورها من أجل التخلص " من سلطة البطل الموحد الذي يتحكم فـــي

---

[1] – موسى بن جد، شخصية دينية في روايات الطاهر وطار،(رسالة مخطوطة لنيل شهادة الماجستير،جامعة الجزائر 1985، 1990) ص 92.

[2] - د.عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي (معالجة سيميائية تفكيكية لرواية زقاق المـــدق)، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ، د، ط ، د،ت) ص 147 .

[3] – د.بشير بو يجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، ع، س، ص69.

سير الحدث بدءا من بداية القصة إلى نهايتها"[4] بينما حظيت شخصيات أخرى بحقها في وصف وتصوير مظهرها الخارجي، ومنها:

أ-**خالد رضوان:** حاول الروائي في وصفه لهذه الشخصية أن يركز هذا الوصف على ملامح الوجه وقسماته، حيث إن كل إنفعالات الشخصية وعواطفها وثوراتها الداخلية ظهرت من خلال ملامح الوجه وتقاسيمه وهذه المقاطع السردية تؤكد ذلك:

"شحوب وجهك" ...أنت القادم من جبال بعيدة"[1]

"تركته وقد اعتلى وجهه ذلك الشحوب المؤلم وعيناه سحاب أسود" [2]

إن شحوب الوجه وضيق العينين وتضببهما بسحاب أسود، كل ذلك يدل على معاناة شخصية "خالد رضوان" وما تعيشه من هموم وآلام وأحزان في واقع اجتماعي يعيش ظروفا مؤلمة، ظروف القتل والإرهاب والمجازر الدموية.

ب- "الجدة حليمة": كما تعرض الروائي إلى وصف "الجدة حليمة" و هي تسرد قصتها مع زوجها الطبيب الفرنسي "بيار"، و قد جاء ذلك على لسان الراوي في قوله:

"و بقيت أنا صامتا أتملى في وجهها الذي أضاء بالنور و الحلم و الصفاء"[3]

"وجهها الذي بقي جميلا إلى آخر لحظة"[4]

"عيناها تلتمعان و هما تحدقان في السماء الزرقاء"[5]

"كانوا ينادون علي باسم فرنسي "ماري"تعالي ماري إذهبي ماري، كنت قد تعودت على ذلك بشرتي البيضاء و عيناي الزرقاوين نتاج علاقة غير مشروعة"[6]

---

[4] – عبد القادر بن سالم، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري (بحث في التجريب و عنف الخطاب عند جيل الثمانينات)، (دمشق: من منشورات اتحاد الكتاب العربي. د.ط، 2001م) ص 58.

[1] –بشير مفتي، بخور السراب، (منشورات الاختلاف، ط1، 2001)، ص 16.

[2] – م.ن، ص 08.

[3] – م، ن، ص 26.

[4] – م، ن، ص 27.

[5] – م، ن، ص 26

نلاحظ من خلال المقاطع السردية أن ملامح وجه العجوز تحمل بشائر الفرح و السرور لتدل على ذلك الماضي الجميل الذي عاشته الجدة في فترة شبابها و نضارتها، و ماضي الجدة في هذا النص السردي يمثل ماضي الوطن، أو المرحلة التي عاشتها الجزائر قبل الأحداث الدموية .

ج- "**ميعاد**": تعتبر شخصية ميعاد إحدى الشخصيات الاساسيه التي دارت حولها احداث الرواية، فنالت بذلك حظا كبيرا من تركيز الروائي على مواصفاتها الخارجية و خاصة ملامح وجهها.

"بلباسك الأسود الحزين و عينك المضيئتين"[1]

"وجهها الملفوف بغلالة حزن سوداء، نظرتها المترددة و الحنونة و تدفق صوتها الممتلئ برعشة خاصة".[2]

"كنت ساحرة في ذلك اليوم، و وجهك ظل يضيء"[3]

إن غلالة الحزن السوداء الملتفة حول وجه الشخصية، و علامات التعب المحيطة به، تدل على حاضرها الأليم، أما البريق الذي يلمع في عينيها، فإنه يدل على بصيص الأمل الذي تحمله ميعاد بين جوانبها، فبالرغم مما تعيشه من أحداث مؤلمة، و وقائع مفجعة فإنها مازالت تحلم بمستقبل يسترجع فيه الوطن أمنه و استقراره، و تسترجع فيه الشخصية طمأنينتها و أيام صفائها و سعادتها.

د- "**خيرة العاملة في حانة الأقواس**": إن شخصية "خيرة" تمثل الشخصية الهامشية التي تعيش على هامش الحياة، حيث كانت تقضي أيامها في حانة الأقواس من أجل سقي المخمورين،

و القيام بشؤونهم.

---

(6) - م، ن، ص25.

(1) – بخور السراب ع ، س،ص14

(2) – م، ن، ص90.

(3) –م، ن، ص14

"عيني خيرة الذابلتين"[4]

"أتأمل وجه "خيرة"المغناج و جسدها المكتنز بالشهوة"[5]

وقد ذكر الروائي هذه الأوصاف دفعة واحدة، دون اللجوء إلى التفصيل، خلافا للروائي الكلاسيكي الذي كان يهتم بالجانب المورفولوجي اهتماما منقطع النظير، وذلك من أجل الإيهام بواقعية هذه الشخصية، وجعل المتلقي يتصورها واقفة أمامه بمظهرها الخارجي، من ملامح وجه ولون شعر وطول قامة أو قصرها و وسامة أو دمامة.

كل هذه المواصفات كانت تولى لها الأهمية العظمى في الرواية الكلاسيكية التي كثيرا ما تقف عند الوصف بمفهومه السطحي البسيط لتجعل من شخوصها أفرادا حقيقيين" لا يزيدون عن كونهم أشخاصا من الناس غير متميزين ولا محدودين بأوصاف خاصة [1]

ولتأكيد ما سبق نأخذ مقطعا سرديا من راوية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة"، حيث لاحظت إحدى الشخصيات "حسنها البادي في كل جزء من ملامح وجهها فها هي ترى خطوطا رقيقة ترتسم فجأة على جبين نفيسة...وها هي ذي ترى خطا عموديا يرتسم بين حاجبيها...وها هي ترى على شفتيها الرقيقتين شيئا ساحرا ...ثم ذلك الثغر الفاتن لا نشوز لأسنانه ولا انفراج بينهما"[2]

ومما نلاحظه أن " عبد الحميد بن هدوقة، قد تتبع ملامح الوجه وتفاصيله عضوا عضوا بدءا بالخطوط الرقيقة المرتسمة على الجبين، إلى ذلك الخط العمودي المنتصب بين الحاجبين ثم الشفتين الرقيقتين، وصولا إلى الثغر الفاتن ذي الأسنان المستوية التي لا انفراج بينها ولا اعوجاج فيها.

إن الروائي في هذا المقطع السردي رسام يخط ويرسم بريشته هذه الملامح دون

---

[4] - م،ن،ص19

[5] - م ،ن،ص 25.

[1] – مصطفى فاسي ، البطل في القصة التونسية حتى الاستقلال (الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب د،ط،1985 م) ص188.

[2] - عبد الحميد هدوقة، ريح الجنوب، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط4، د.ت)، ص، 37.

أن يترك واحدة منها، مع التفصيل والدقة المتناهية، وهو "لذلك يجب أن يكون قادرا على تحريكهم و حل مشكلاتهم"[3] في حين أن "بشير مفتي" قد أهمل ذلك الوصف العميق والتفصيل الدقيق، وها هو ذا يصف شخصية (ميعاد) على لسان الراوي بقوله:

" رأيت ميعاد تتأملي بفرح، عيناها مشرقتان بسعادة ووجهها بهي القسمات وأساريرها منفرجة عن ابتسامات لا نهائية"[4]

إن الإهتمام بالمظهر الخارجي من قبل الروائي لم يكن عبثا وإنما له دلالته وإيحاءاته التي تبقى ملقاة على عاتق المتلقي، مما يدفع بالنص الروائي إلى تعدد القراءات و كثرة التأويلات.

و مما يلاحظ على رواية "بخور السراب"أن الروائي لم يهمل بعض الشخصيات الثانوية التي كان دورها ضئيلا في هذا النص السردي مثل: شخصية السائق التي ظهرت في آخر صفحات الرواية، وكذلك شخصية الجد المعزوز وأستاذة الفلسفة، و شخصية "سعاد آكلي".

" لكن السائق الأسمر السحنة ذا العين المفقوءة يتحدث أن لا أحد يمكن أن ينقذنا لو وقعنا في كمين.[1]

" وهي تتحدث عن ذلك الرجل الوسيم ذي الهيبة النورانية التي زارها في المنام"[2].

" أستاذة الفلسفة الجميلة "لارانجان" صاحبة العينين الكحيلتين".[3]

"و لكن شعرت بالقلق لمجرد أن أظهرت من تحت فستانها الأسود الشفاف فخذها الأيمن".[4]

---

[3] - د.عبد العزيز شرف، الأسس الفنية للإبداع لأدبي(بيروت: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط04، د.ت)ص،182.

[4] بخور السراب، ع.س.ص، 113.

[1] - بخور السراب،.ص، 142.

[2] - م، ن، ص، 25.

[3] - م، ن، ص، 23.

إن ملامح الوجه تعبر بصورة صادقة عما عاشته هذه الشخصيات من هـــدوء واســـتقرار ،وما تعيشه من إرهاب وقتل ومأساة، نتيجة اهتمام الروائي بهذه الملامح دون غيرها"مما أضفى على عمله الإبداعي نكهة خاصة تمتاز بالصدق في التعبير و الوصف"[5]، جعلتنـــا نتعـــــرف على هوية هذه الشخصية و على جانبها المورفولوجي و حتى بعض دوافعهـــا النفسية، و لم يكتف بالإشارة إلى ملامح الوجه، بل أشار بعض الإشارات العـــابرة إلـــى بعض الملامح المورفولوجية الأخرى غير ملامح الوجه ومن ذلك:

"كنت زعيمهم بالرغم من قصر قامتك، نحالة جسدك"[6].

"طلبت منك أن تعيدي سرد الحكاية فانفجرت دموعك فجأة"[1]

"ميعاد الصوت الرهيف كقصيدة شعر الوجه المرتفع بكبرياء النظرة الجريحة"[2].

"أما أنا فلم يكن يسعدني في الحقيقة إلا أنني بجانبك و أن أصابع يـــدي تشـــتبك بأصـــابع يدك"[32].

إن نحالة الجسد، وكثرة الدموع تدل على حالة نفسية معنية كانـــت تعيشـــها الشخصـــية ،فالدموع تحمل دلالة الحزن واليأس، و هي تعبر عن مسكوت عنه يتمثل فـــي معانـــاة و عذابات الشخصية في محيطها و مجتمعها الذي يعاني من ويلات الإرهاب وهمجيته.

2- **طريقة اللباس:** إن ذكر الروائي لملامح الوجه وقسماته غير كاف لإعطاء الشخصية بعدها الجسمي المورفولوجي، لذلك فلابد من وصفها وصفا كاملا يشمل جميـــع أعضـــاء

---

(4) - م، ن، ص، 63.

(5) - د. بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، ع، س، ص،77.

(6) - بخور السراب، ع، س، ص، 25.

(1) - بخور السراب ع، س، ص، 15.

(2) – م، ن، ص، 26 .

(3) – م، ن، ص14

جسمها بما في ذلك طريقة لباسها وهندامها حتى يستطيع القارئ تصورها أمامه بكل الصفات التي "يتصف بها الإنسان العادي"[33]والموجود في الواقع العياني.

وهذا ما جسدته رواية "بخور السراب" حيث إنها أعطت للمظهر الخارجي بعض العناية والإهتمام، فقد صور لنا الروائي شخصية "ميعاد" بلباسها الأسود الحزين وجاء ذلك على لسان الراوي في قوله:

"تذكرين يوم دخولك لمكتبي بلباسك الأسود الحزين"[5].

لقد وصف الروائي معاناة هذه الشخصية ومدى مرارة الحزن والفراق الذي تعيشه بعد فقدان زوجها وكل ذلك ظهر لنا من خلال الملامح المورفولوجية والرسم الخارجي، كما تعرض إلى رسم ملامح الفتاة "منيرة" حتى يجعلها نموذجا لشريحة اجتماعية واقعية.

"وقد نزعت فستانها البرتقالي المزين بورود البنفسج الجميلة"[6].

إن استعمال الروائي للون "البرتقالي" يحمل دلالة الأمل والتفاؤل الذي تحمله الفتاة، لذلك فهي تدل على مرحلة معينة عاشها الوطن.

ويواصل الروائي وصفه وتصويره للجانب الشكلي والمظهر الخارجي للشخصيات

و يقف عند شخصية والده الراحل بقوله:

"صورته بالعمامة والقندورة، تاريخ قديم لا يزول"[34].

ومما يمكن ملاحظته من خلال هذه المقاطع السردية أن الروائي لم يسهب كثيرا في وصف لباس هذه الشخصيات وإنما جاء به من أجل إعطاء النص السردي أبعادا وإيحاءات عميقة، غير أن هذه الشخصية تفتقر إلى البعد النفسي الذي يجعلنا نتوصل إلى

([33]) – د. عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2003)، ص، 133.

[5] - بخور السراب ع، س، ص، 14

[6] - م، ن، ص، 44.

[34]–بخور السراب ع، س ، ص، 138.

الحقيقة الإنسانية خاصة شخصية "الوالد" والفتاة "منيرة" وذلك راجع إلى عدم ظهورهما بصورة واضحة في هذا النص السردي وعدم مشاركتهما الفعالة في تطور الأحداث وبث الحوار، حيث تفاوتت الأهمية بين شخصيات رواية بخور السراب ، إذ أن بعض الشخصيات قد قامت بالدور المنوط بها على أكمل وجه كشخصية "ميعاد" التي استطاع الروائي من خلالها أن يصور لنا الوطن عبر المراحل التي عرفها في تاريخه وخاصة مرحلة العشرية السوداء التي أصابته في أعماقه ،وشخصية العجوز "حليمة"التي تمثل عمق الأصالة الجزائرية،وشخصية "حداد" التي مثلت تلك الفئة الحساسة المهضومة الحقوق (فئة المثقفين).

في المقابل نجد بعض الشخصيات الهامشية والتي لا نعرف عنها غير أسمائها وبعض الحركات القليلة التي كانت تقوم بها بين الحين والآخر .

وكل ذلك بدا بصورة جلية من خلال الملامح الخارجية والصفات الحسية والرسم الخارجي لشخصيات رواية بخور السراب.

وللمزيد من التوضيح نأتي بجدول يبين بعض الصفات التي تتعلق بهذه الشخصيات:

الموصوف	الصفة الحسية
وجهي	حاد القسمات
الشحوب	المؤلم
سحاب	أسود
وجهها	بهي الطلعة
أساريرها	منفرجة
العين	المفقوءة
لباسها	الأسود
فستانها	البرتقالي
عينيك	المضيئتين
الوالد	الجاهل
عينين	مندهشتين
ضيقتين	صغيرتين

"جدول يوضح بعض الصفات الحسية المتعلقة بالشخصية"

نلاحظ من خلال الجدول أن صفات التشاؤم قد غلبت على صفات التفاؤل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الشخصية تعيش مأساة حقيقية،لذلك وظف الروائي هـذه الصفات الحسية من أجل الكشف عن الحزن الذي يعكر عليهـا صـفو حياتهـا، وكـذا الاضطرابات النفسية والقلق الداخلي الذي يسيطر عليها، فهي تعيش في مجتمع تكثر فـي

الاغتيالات والمحن، ويشحنه الخوف والقلق،وهذه الصفات كلها تنبئ " عن صميم وعي الشخصية وهي تتمزق داخليا"[1].

وهكذا يتضح أن الروائي "لا يهتم بالوصف الجسمي للشخصية على سبيل تحديد هويتها وإنما على سبيل إبراز عواطفها" [1]،والكشف عن جروحها التي لم تندمل بعد.

وقد لجأ إلى بناء شخصياته بهذه الكيفية من أجل تقريبها من ذهن القارئ، وإيهامه بواقعيتها وجعله يقاسمها همومها وآلامها وجوها المعيشي، فهو "يصف المظهر الخارجي ليدخل الشخصية في موقف معين وليحملنا على تخيلها فيوهمنا بالواقع"[2]،حيث ظهرت هذه الشخصية رافضة للواقع، تحمل له الحقد والبغضاء، غير أنها لا تملك القوة لتغيره أو تبديله، و كثيرا ما تتطور هذه الشخصية "نتيجة لتفاعلها المستمر مع هذه الحوادث، و قد يكون هذا التفاعل ظاهرا أو خفيا و قد ينتهي بالغلبة أو الإخفاق"[3]

"تركته وانصرفت معترفا بيني وبين نفسي أني أحمل نفس الحقد على العالم بأكمله".[4]

ولعل وصف المظهر الخارجي في رواية "بخور السراب" لم يستوف حقه من الدقة والتفصيل، كما هو الشأن في الرواية الكلاسيكية التي تصور الجانب المورفولوجي تصويرا فوتوغرافيا دقيقا،" فتوصف ملامحها وقامتها، وصوتها، وملابسها، وسحنتها،

---

[1] د .محمد داود،الرواية الجديدة بفرنسا 1950 – 1970 ، مقاربة سوسيو نقدية (رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الآداب الأجنبية 2003 –2004) ص،223

[1] – بشير محمودي ،البنية السردية في الرواية الجزائرية المعاصرة (البحث عن الوجه الآخر نموذجا)

(رسالة مخطوطة لنيل شهادة الماجيستير ،جتمعة وهران 1997–1998)، ص54 .

[2] – د. محبةحاج معتوق، أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية، (بيروت، دار الفكر اللبناني، ط1، 1994)، ص 109.

[3] – يوسف نجم محمد، فن القصة، (بيروت، دار الشرق، الجامعة الامريكية، ط1، 1996)، ص86.

[4] – بخور السراب ع ، س ، ص 35

[5] – د . عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ،ع ، س، ص 86

[6] – د. محمد داود ،الرواية الجديدة بفرنسا 1950– 1970 ع ، س ، ص 64

وسنها وأهواؤها وهواجسها وآمالها وآلامها وسعادتها وشقاوتها...، ذلك بـــأن الشخصـــية كانت تلعب الدور الأكبر في أي عمل روائي يكتبه كاتب رواية تقليدية"[5].

فلو تصفحنا رواية كلاسيكية ولاحظنا شخصياتها من حيث البناء الشكلي، والوصف الخارجي، لوجدناها تولي أهمية كبيرة لهذا الجانب، وذلك إيمانا منها بفكرة تمجيد البطـــل والبطولة الفردية، وإعطاء الشخصية الورقية أبعادا إنســـانية تجعلنـــا نـــؤمن بوجودهـــا وكينونتها، تلك البطولة التي مجدتها الرواية الكلاسيكية حتى تجعل الشخصية "تعبر عـــن الفردانية التي ميزت المجتمع البرجوازي"[6].

ولتأكيد ذلك نأتي بمقطع سردي من رواية "بان الصبح" لعبد الحميد بن هدوقة، يؤكد ذلك:

"هاتان عيناي العسليتان الحالمتان بتفجير شيء ما...هذان حاجباي المقوسان الرقيقان هذا أنفي المستقيم الذي يأنف عن انحرافي...هاتان شفتاي الرقيقتان اللتان تحســـنان التـــدخين والشرب"[35].

إن "عبد الحميد بن هدوقة" قد اهتم بكل مكونات الوجه من عينـــين، وحـــاجبين، وأنـــف وشفتين، وتوسع في وصف كل عضو خلافا لرواية "بخور السراب" التي ذكرت فيها هذه الملامح بصورة مجملة دون توضيح و تفصيل، و ذلك راجع إلى أن الروائي"بشير مفتي" لم يكن هدفه الإهتمام بالوصف الجسمي أو المورفولوجي، و إنما جاء به بغيـــة تصـــوير الإنفعالات و المشاعر الداخلية نتيجة للفترة التـــي تعـــيش فيهـــا الشخصـــية؛ فتـــــــرة الإغتيـــالات و المـــحـــن

و الإرهاب التي مرت بها الجزائر، و قد حاول الروائي أن يصورها مـــن خـــلال هـــذا المقطع السردي:

" كان وجهي يشحب و قلبي يذبل، كنت أحس باختلاط عجيب، الروح تفـــتـــــت علـــى آخرهـــا

و الجنون يدق على باب رأسي، أسمع الرصاص خلفي، لأنظر للمرآة المواجهة لي"[36].

---

[35] – عبد الحميد بن هدوقة، بان الصبح، (الجزائر: المؤسسة الوطنيـــة للكتـــاب، ط2، 1984)، ص 05.

"تدفق وجهي بالحزن و غاصت عيناي بالوحل فلـــم أعـــد أرى إلا مساحـــــات مظلمـــة تحتـــويـنـــي

و أرض مهجورة تنفيني"[37]

إن شحوب الوجه و ذوبان القلب، و تفتيت الروح و غوص العينين بالوحل كـــان سببه الرعب و الفزع و الخوف الذي تعيشه الشخصية في وطن لم تلتئم جراحـــه بعـــد، فرسم المظهر الخارجي للشخصية قد كشف عن أحاسيسها و انفعالاتها في أسلوب صريح يتماشى و الهدف الذي يريد الروائي تحقيقه.

إن الغاية من الوصف الحسي في هذه الرواية تتمثل في محاولـــة إظهـــار الحالـــة النفسية للشخصية الروائية التي تعيش في واقع أليم، لا أمل لها في سعادته، و عودة الأمن و الإستقرار إليه، لذلك لجأت إلى اجترار الهموم و الأحزان و المآسي.

" إنني أعبر عن حزني الكبير لما آلت إليه هذه البلاد التعيسة التي لا تعرف بعد اليوم في أي طريق ستسير"[38].

لقد أصبحت البلاد تعيش في جو تعيس بعد النكبة التي حلت بها، و انعكـــس ذلـــك كلـــــه على الشخصية الروائية من خلال هذا المقطع السردي.

" أخبرني أن كل شيء ضدنا الآن، أن الجزائر تغرق و أن الحياة التي ننشدها ستموت إن لم نهرب"[39]

" أنا ولهان، تعبان، مدمر، بعيد عن هذا المكان"[40]

---

[36]-بخور السراب ع، س، ص 16

[37] – م، ن، ص 136.

[38] – بخور السراب ، ع ، س، ص81.

[39]– م، ن، ص 104

[40]– م، ن، ص11

إن الشخصية تعيش بعيدة عن وطنها بعدا معنويا، تسبح بفكرها في فضـــاءات و فراغات لا حدود لها، نتيجة الظروف المؤلمة التي حلت بها، فهي شخصية شاردة الذهن، حائرة، خائفة مما يحدث في عالمها و محيطها.

"لقد أصبحنا مجانين، يا له من هوس غريب بالقتل في أبشع الصور"[41]

و هكذا نلاحظ الروائي قد اهتم بشخصياته "حيث أنـــه يعتنـــي أولا بوصـــف مظهرهـــا الخارجي... و لكنه سرعان ما يكشف عن جانبها الباطني عن طريق مواقـــف محرجـــة يسوقها إليه"[42].

"كنا نخرج و نتمشى و عيوننا ترقب الناس المتجولة مثلنا أو المتوجهة نحو شؤونها فـــإذا الحيرة على كل وجه و الآلام و المخاوف مرتسمة على كل عين"[43]

إن المظهر الخارجي للشخصية يعد بمثابة البوابة للولوج إلى العالم الداخلي الذي يظهر من خلال مواقف الشخصية و سلوكاتها، و كذا التناقـــضات الصارخة التي تســـاهم في بنـــائـــها

و تكوينها.

و كل ذلك يظهر من خلال ملامحها الخارجية، و بنائها المورفولوجي سواء تعلـــق ذلك بجسمها أو بملابسها.

و مع ذلك فقد أهمل الروائي بعض حيثيات البناء الخارجي لشخصـــياته، و ذلـــك لغاية يريد تحقيقها، إذ إن هذا التغافل مرده جعل القارئ ينفعل مع أحداث الرواية و يقاسم الشخصية همومها و آلامها و يحاول أن يساهم في رسم تلك الملامح و الصفات، ذلك أن رواية "بخور السراب" " لم يعد الوصف فيها مقصورا علـــى نقـــل تفاصـــيل الواقـــع و نسخه"[44] كما هو الشـــأن في الرواية الكلاسيكية، و إنما كان هذا الوصف محملا بدلالات

---

[41]–م، ن ، ص140.

[42]–شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ع، س، ص106.

[43]– بخور السراب، ع، س، ص93.

[44]– شريبط أحمد شريبط،تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ع، س، ص 106.

و إيحاءات ، و ما يختلـــج في نفسية الشخصية من أفكار وعواطف تتمثل في تصـــوير الجانب السيكولوجي لها من ناحية ومن ناحية أخرى وصف الواقع المعيش.

غير أن دلالات الوصف و إيحاءاته في هذه الرواية لا تنفي واقعيـــة الحـــدث، إذ حاول الروائي من خلال نصه السردي أن يصور لنا حدثا هاما عاشته الجزائـــر؛ ذلـــك الحدث الذي تمثل في المجازر الدموية و الاغتيالات العشوائية، و الوقائع المؤلمة.

3- سيميائية اللون:

إن " بشير مفتي" لم يتعرض لرسم الملامح المورفولوجية بصـــــورة مفصـــلة و واضحـــة و إنما ذكرها ذكرا عابرا، فصور لنا لباس الشخصية الذي كان بمثابة المـــرآة العاكسة لباطنـــها و دواخلها، إذ اختار جملة من الألوان تتعلق بلباس الشخصـــية، وكمـــا نعلم أن اللون في الدراسات الأدبية المعاصرة، لم يعد مجرد لطخة من الصـــباغ يقتصـــر مفهومها على مدلول واحد، و إنما أصبح يحمل جملة من الدلالات والرموز، وهـــذا مـــا أشار إليه عبد الملك مرتاض في قوله: "فاللون -إذن- في الذهنية المعاصرة للإنسان، لـــم يعد مجرد لطخة من الصبغ توضع على ثوب أو قرطاس، وإنما أصبح كل لون يرمز إلى سيميائية، إلى عالم من الرموز التي بعضها يجسده العلم الوطني لكـــل شـــعب أو أمـــة، وبعضها الآخر يتجاوز ذلك تفصيلا".[45]

وقد اعتمد الروائيون هذه الخاصية السيميائية بكثرة في نصوصهم السردية، "وهكذا فعل بلزاك، فإنه لما أراد أن يصف لنا نزل فوكيه بدأ يفرقنا باللون البني"[46]، وهـــذا مـــا جسدته رواية "بخور السراب" إذ توفرت على جملة من ألوان اللباس كاللون الأسود الذي يوحي بكثرة الهموم والمآسي التي تعيشها الشخصية جراء تمـــزق المجتمـــع الجزائـــري ودخوله في دوامة المجازر الدموية،حيث إننا "نلاحظ أن صفتي الظلام و السواد و ما في

---

[45] - عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ع س، ص 297.

[46] - ميشال بيتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس، (بيروت، منشـــورات عويـــدات، ط1 1971) ص 44.

حكمهما لم تردا في النص غالبا إلا بقصد التهجين، أو الذم، أو التشـــاؤم، أو الهجـــو، أو الغضب، أو للشيء غير المشروع عامة أو للدلالة على حال من الحزن الملم"[47].

من خلال ما سبق يتضح أن لكل لون دلالته، و اللون الأسود يرمـــز به إلى التهـــجيـــن أو الذم، أو التشاؤم، أو الغضب، أو الحزن حسب ما توصل إليه الـــدكتور عبـــد المالـــك مرتاض في تحليله لرواية "زقاق المدق"، أما اللون الأسود في رواية"بخور السراب"فإنـــه يحمل دلالة الحزن و التشاؤم و الإحباط النفسي و اليأس من الحياة الجديدة التي طـــرأت على المجتمع الجزائري.

"آه لو تعلمين في أي فضاء أسبح اللحظة، في أعماق دهاليزي المظلمة حيث أنتظر أشعة ضوء تنبثق، أنوار تخترق هذه الدكنة القاسية"[48].

إن الدهاليز المظلمة الدكناء تدل على معاناة الشخصية و إحباطاتها النفسية، فهي شخصية يغلب عليها التشاؤم و القلق، رافضة لواقعها الأليم تسبح بفكرها فـــي فضـــاءات بعيـــدة، تحاول التخلص من هذا الواقع لكن دون جدوى.

و قد غلب على هذه الرواية توظيف اللون الأسود و ما يحمله من دلالات و معان.

"ظللت باستمرار عدو أن تتشاءمي، عدو أن يدخل **السواد** إلى رؤيتك"[49].

"في هذه اللحظات لن يكون لأي لغة قدرة على تبرئة جراحاته و تنحية **السوداوية** التـــي تغشى رؤيته للوجود و الحياة"[50].

لقد تكرر اللون الأسود عبر صفحات الرواية ليلفت انتباهنا إلى أهمية استعماله و التركيز عليه دون غيره من الألوان الأخرى.

"إعتلى وجهه ذلك الشحوب المؤلم و عيناه سحاب أسود"[51].

---

[47]– د. عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ع، س، ص298.

[48] – بخور السراب، ع، س، ص11.

[49] – م ، ن ، ص14.

[50]– بخور السراب،ع، س، ص08.

[51]– م، ن، ، ص68.

"بلباسك الأسود الحزين"[52].

لقد طغى استعمال اللون الأسود دون بقية الألوان الأخرى ، وهذا يدل دلالـــــة قاطعــة على أن الشخصية تعيش في هم وضيق نتيجة تعفن الواقع وسقوطه في قبضة الدمويين .

كما نجد أن الروائي استعمل بعض الألوان الأخرى والتي تحمل دلالات كثيرة و متعــددة كالعمامة الصفراء التي ترمز إلى ماضي الجزائر وتراثها و أصالتها، والفستان البرتقــالي الذي يرمز إلى الإستقرار والأمن الداخلي للوطن، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: هــل لباس الشخصية كاف لمعرفة الجانب المورفولوجي؟

إن لباس الشخصية من أهم النقاط التي تساهم في بنائها الخارجي، لكنه غير كــاف لإعطاء نظرة شاملة وكاملة عن هذا الجانب، لذلك فلابد من نقاط أخــرى تتضــافر مــع طريقة اللباس لتعطي الشخصية جانبها الخارجي وتجعل القارئ يتعــرف علــى بعــدها الجسمي بصورة واضحة ومن هذه النقاط نذكر:

4- **سن الشخصية:** إن الدارس للجانب المورفولوجي أو البناء الشكلي للشخصية، عليه أن يتتبع التفاصيل والدقائق التي تتعلق بها، حتى يجعل منها شخصا واقعيا ذا وجود فيزيقــي وذلك بوصفها "وصفا دقيقا وكأنها شخصية حقيقية، ويضع لها سيرة وتاريخا ونســبا ولا يفوته شيء من الوصفين الخارجي والداخلي" [53]بما في ذلك ســن الشخصــية الذي لــم يهمــله الروائيــون

و النقاد، ولم يغفل "بشير مفتي" هذا العنصر حيث صور لنا شخصية الراوي على أساس أنه شاب في الثامنة عشر من عمره، وهي السنة التي تحصل فيها على شهادة البكالوريا.

"..هربت من البيت، كنت في الثامنة عشر من عمري وعلــى وشــك اجتيــاز امتحــان البكالوريا".[54]

---

[52] – م، ن، ص14.

[53]–عبد الله الخمار، تقنيات الدراية في الرواية، الشخصية، (الجزائر، دار الكتاب العربي، د ط1999م) ص23.

[54]– بخور السراب، ع س، ص 22.

".حيث كان مسكني الأول والحي الذي قضيت فيه طفولتي وصباي الذي لم يعـــــد من تذكرة أي فائدة تذكر".[55]

إن الراوي يحن إلى سن الطفولة وذلك باعتماد أسلوب الإرتداد؛ هذه السن التي تمثل لـــه الأحلام والآمال، سن السعادة والهناء، بيد أنه ما يلبث أن يتفطن إلى أن تذكره لم تعد من ورائه فائدة، فهو بالنسبة له سن الشباب الذي ولى من غير رجعة،وأصبح عبـــارة عـــن ذكريات حزينة ومشاعر مكتومة تعود إليها الشخصية من حين لآخر،أما بالنسبة للبلاد فإنه يمثل سنوات الأمن والإستقرار.

ولم يقف الروائي عند هذا الحد، بل انتقل إلى سن بعض الشخصـــيات التـــي تجـــاوزت مرحلة الشباب، وأصبحت في أخريات حياتها، ومن هذه الشخصيات نجد:

-**العجوز** "**حليمة**": إنها امرأة تجاوزت الأربعين من عمرهـــا وأصـــبحت تعـــاني تعبـــا وضعفا، يقول الراوي على لسانها:

"ثم إنها الأربعينيات زمن آخر بعيدا جدا في عمر الذاكرة صوتها انخفض ورق، عيناهـــا تلتمعان وهما تحدقان في السماء الزرقاء"[56].ويواصل الراوي وصـــفه لهـــذه العجـــوز بقوله:"صوتها الباح وحكمتها الجليلة وقدراتها على صوغ الكلمات وإلقاءها بشكل ساحر، كان يتـــــــرك أثره علي فيشغل حواس الإكتشاف والرغبة في المزيد"[57].

إن انخفاض الصوت وضعفه ناتج عن تقدم في سن هذه العجوز صاحبة الصـــوت الرصين والكلمات الساحرة الباهرة.

من خلال المقاطع السردية السابقة نستطيع أن نتصور الجدة "حليمة" علـــى أنهـــا عجوز قد أنهكها الدهر وأرهقتها السنون.

فالجانب المورفولوجي المتمثل في سن الشخصية، كان بمثابـــة المـــرآة العاكســـة لصورتها، أو بمثابة التصوير الفوتوغرافي لها.

---

(55)- م، ن، ص 76.

(56)- م، ن، ص 26.

(57)- م، ن ، ص 29.

كما تعرض الروائي إلى وصف المظهر الخارجي لشخصية "خيرة" العاملة في "حانة الأقواس"، والتي كانت محل تهكم وسخرية من قبل المخمورين المتواجدين في هذه الحانة، بسبب كبر سنها وتهدل عضلات وجهها.

"أتأمل وجه "خيرة" المغناج وجسدها المكتنز بالشهوة والمثقل بسنين عجاف"[1]

دون أن يغفل شخصية "بيار" الطبيب الفرنسي زوج الجدة "حليمة" سابقا، والذي قدم من فرنسا من أجل حضور مراسيم "الدفن" بعد أن بلغه نبأ وفاة زوجته، حيث صوره الروائي على أنه شيخ هرم أتعبه طول العمر.

"كان هو الآخر في سن الغروب ويتحدث بصعوبة عن عودته إلى الجزائر التي تركها منذ سنين طويلة"[2]

إن صعوبة الحديث عند الطبيب "بيار" ناجمة عن كبر سنه وضعف قوته ووهنه و علاقته بزوجته "حليمة" فيه إشارات خفية إلى علاقة فرنسا بالجزائر.

وقد كان الروائي يهدف من وراء هذا إلى إعطاء حافز لحركات الشخصية، و محاولة تفسير أفعالها و سلوكاتها، وتقريبها من ذهن القارئ وذلك بالسعي إلى "رسم شخوص متكاملين، واختيار نماذج شعبية".[3]

وقد حاول الروائي من خلال حديثه عن سن الشخصية أن يبين لنا علاقتها بالحدث وعلاقتها بغيرها من الشخصيات الأخرى من جهة، و الكشف عن تصرفاتها في محيطها الإجتماعي"بوصفها بشرا، أي أن تعيش، و تتحرك، و تمارس، و تفكر، و تتحدث عبر شرطها البشري"[1]من جهة أخرى ، و لهذا ظهرت بعض الشخصيات المتقدمة في السن عاجزة

---

(1) - بخور السراب ع، س ، ص 85.

(2) - م، ن، ص ، ن.

(3) - د. محسن جاسم الموسوي ، الرواية العربية ، النشأة والتحول(بيروت : منشورات دار الآداب ط2 1988م) ص122.

(1) – د. جهاد عطا نعيسة، في مشكلات السرد الروائي(دمشق:من منشورات إتحاد الكتاب العرب، د ط 2001)ص230.

عن الكلام في كثير من الأحيان.

"كنت أنتقم منه و هو في لحظة ضعف، عيناه تودعان ببطء عالمنا هذا و تتركان وراءهما علامة استفهام أبدية.."[2]

و هكذا فإن تفسير سن الشخصية يحمل دلالات و معان بعيدة، حيث يرى الدكتور عبد الملك مرتاض أن"تحديد السن لأي شخصية أو عدم تحديدها أيضا، يجب أن يحتمل دلالة سيميائية خاصة" [3]

إن سن الشخصية من المعطيات التي نستطيع أن نستند إليها في تفسير أفعال الشخصيات و تصرفاتها،حيث نلاحظ أن الشخصية المتقدمة في السن كان دورها أقل من دور الشخصية التي لا تزال في ريعان شبابها، وهذا ما تأكد من خلال شخصية السارد التي كانت تحرّك الأحداث من بداية الرواية إلى نهايتها، حيث استعمل الروائي ضمير المتكلم الذي يلائم أسلوب السيرة الذاتية.

"لا أدري إن كنت شريرا أم لا، و إن كانت عندي نوايا سيئة اتجاه الآخرين" [4]

وهكذا نلاحظ أن شخصية المؤلف لم تظهر بصورة جلية وإنما كان متضمنا في شخصية الراوي الذي يعتبر إحدى الشخصيات في الرواية حيث "ترك الفرصة للشخصية الفنية تعبر عن نفسها بأحاديثها وتصرفاتها" [5]، ولم يفرض عليها سيطرته بصورة كبيرة، فأسلوب الشخصية جعلنا نتعرف عليها ونعيش معها همومها وآلامها وأحزانها.

وقد حاول بشير مفتي أن يصور لنا شخصيات روايته على أنها تعيش في جو من الفزع والرعب والخوف نتيجة للأحداث التي عرفها الوطن في مرحلة التسعينيات؛ تلك الأحداث التي تمثلت في القتل والإرهاب والمجازر الدموية، حيث انعكس ذلك سلبا على نفسيتها

---

[2] – بخور السراب، ع، س، ص31.

[3] – د.عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ع، س، ص135.

[4] – بخور السراب، ع، س، ص46.

[5] – د. محبة حاج معتوق أثر الرواية الواقعية العربية في الرواية العربية ع، س، ص 36.

التي غـــــــلب عليهـــــا اليـــأس والتشـــاؤم والانكســـــــــار وفقـــدان الأمل في عودة الأمـــــن والاستقرار.

وهكذا ساهمت شخصيـــات رواية بخـــور الســـراب في تصوير الحدث ونقله إلينـــا، وجعلنا نعيشه من جديـــد ،فالشخصية يجب عليهـــا " أن تشارك في نمـــو الحـــدث القصصي ،وبلـــــورة معناه." [1] حتـــى يتسنـــى للمتلقي تصوره في ذهنـــه فيعيـــش الـــمأســـاة مـــرة أخـــرى.

"صورة القتل الذي لحقنا عبر مسار الذاكرة اللعينة التي مجدناها حتى الموت" [2]

مما يلاحظ على هذا المقطـــع السردي أن الشخصية تعيش فتـــــرة من الهلـــــــع والرعب والخوف وعدم الثقة بالنفس،فهي تعيش أحـــــداث القتـــــل والإرهـــــــاب بكل جوارحـــها وأحاسيسها.

إن المظهر الخارجي والملامح المورفولوجية للشخصيـــة توحي بمـــــدى المعانـــاة والخوف الذي تعيشه .

---

[1] - شريبط أحمد شريبط ، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ع ، س، ص33.

[2] - بخور السراب ع ، س ، ص 130.

و هكذا يمكننا تلخيص المظهر الخارجي للشخصية عن طريق الجدول الآتي:

الشخصية	مواصفاتها
الراوي	" كنت منهكا...باردا، جسدي صقيع ووجهي مدجج بأحلام ماتت في زمن آخر "[58]
ميعاد	" وجهها الملفوف بغلالة حزن سوداء، نظرتها المترددة والحنونة وتدفق صوتها الممتلئ برعشة خاصة"[59]
خالد رضوان	"بالرغم من قصر قامتك، نحالة جسدك، شحوب وجهك"[60] "وقد اعتلى وجهه ذلك الشحوب المؤلم، وعيناه سحاب أسود "[4] بقي ضوء يبرق في صمت"[5]
الجدة "حليمة"	ّ كنت جميلة وجذابة وقاهرة...ثم إنها الأربعينيات زمن آخر بعيدا جدا في عمر الذاكرة...صوتها انخفض ورق عيناها تلتمعان"[63]
الطيب "بيار"	" كان هو الآخر في سن الغروب ويتحدث بصعوبة عن عودته للجزائر التي تركها منذ سنين طويلة"[64]
الفتاة ميرة	" وقد نزعت فستانها البرتقالي المزين بورود البنفسج الجميلة وأصبحت أمامي جسدا يشتهى"[65]
خيرة العاملة في	" أتأمل وجه "خيرة" المفتاح وجسدها المكتنز بالشهوة والمثقل بسنين عجاف"[66]

---

[58]– بخور السراب، ع.س، ص 06.

[59]– م.ن، ص 82.

[60]– م.ن، ص 8.

[61]– م.ن، ص ، ن

[62]– م.ن، ص 90.

[63]– م.ن، ص 26.

[64]– م.ن، ص 70.

[65]– م.ن، ص 44.

[66]– م.ن، ص 136.

حانة الأقواس	
السائق	" لكن السائق الأسمر السحنة ذا العين المفقوءة يتحدث أن لا أحد يمكن أن ينقذنا لو وقعنا في كمين"[67]
الجد المعزوز	ذلك الرجل الوسيم ذي الهيئة النورانية التي زارها في المنام"[68]
سعاد ّآكلي	و لكن شعرت بالقلق لمجرد أن أظهرت من تحت فستانها الشفاف فخذها الأيمن[69]

"**جدول يوضح بعض الصفات الحسية و الملامح الخارجية المتعلقة بالشخصيات** "

إن ما يمكن ملاحظته هو أن هذا الجدول كان بمثابة اللوحة الفنية التي نستطيع بواسطتها أن نطلع على الملامح الخارجية للشخصيات، حيث نلاحظ تفاوتا في وصف المظهر الخارجي للشخصيات، وهذا حسب دور ووظيفة كل شخصية في النص السردي، ويظهر ذلك من خلال اهتمام الروائي بوصف الشخصية و"بتجديد تاريخ حياتها وشكلها وسنها، وملامح وجهها وعاداتها...."[70]

وبالرغم من اختلاف الشخصيات من حيث البناء الخارجي، إلا أنها تعيش جوا نفسيا واحدا يميزه اليأس والحزن و فقدان الأمل،ويظهر ذلك كلّه من خلال الاهتمام بالشخصيات " وبالرسم الخارجي الذي يبين مميزاتها الجسمية، ومنحنياتها الشكلية"[71]

ومن ثم تظهر هذه الشخصية بكل صفاتها المورفولوجية التي تجعل القارئ يتخيلها شخصا حقيقيا له وجود واقعي، لذلك فقد شمل البناء المورفولوجي-تقريبا - كل شخصيات

---

[67]- بخور السراب، ع،س، ص 142.

[68]- م.ن، ص 25.

[69]- م، ن، ص63.

[70]- الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الاتصال والثقافة،(الجزائر: ، العدد ،112 ، 1996 م)،(القصة بين محمود تيمور وأنطوان تشخون، دراسة مقارنة على مستوى بناء الشخصية)، أ. مليكة بن فاسي، ص90-91.

[71]- د. بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، ع.س، ص 36.

الرواية " فقد رسمت الشخصيات الثانوية بل حتى ذوات الوظائف العارضة"[72] كشخصية الفتاة "منيرة" وشخصية "السائق"، هاتان الشخصيتان كان لهما دور ضئيل في هذا النص السردي، ومع ذلك حاول الروائي أن يتعرض لملامحهما الخارجية وصفاتهما الحسية.

إنّ ما يمكن أن نلاحظه حول المظهر الخارجي للشخصية أن أغلب شخصيات الرواية تظهر بمظهر حزين، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذه الشخصيات تعيش حالة نفسية سيئة للغاية، نتيجة لما حل بالبلاد من أحداث مؤلمة تمثلت في الإرهاب الذي زرع الخوف والرعب في أوساط الشعب وجرف العديد من الأرواح البريئة،علاوة على ذلك فقد حاول الروائي تصوير معاناة الجزائريين تصويرا حيا من خلال وصف المظهر الخارجي لشخصياته، و ذلك بإضفائه صبغة حزينة على ملامحها و صفاتها الخارجية، حيث فرض عليها اللون الأسود كلباس لها ليوحي لنا بمدى ما تعيشه و تعانيه، وهذا ما تأكد من خلال هذين المقاطعين السرديين:

" ولو عثر الإرهابيون علي لشنقوني على الفور"[73]

"تخيلت في كل مرة أسمع فيها دوي انفجار سيارة ملغمة أنني كنت في ذلك المكان، فلا أنام ليلتها ولا تهدأ نفسي إلا في اليوم الموالي" [74]

إن المظهر الخارجي قد لعب دورا كبيرا في تصوير البيئة التي كانت تعيش فيها الشخصيات، إذ ظهرت لنا من خلاله تلك الإغتيالات غير المبرمجة التي جعلت الشخصية تعيش في حالة من الرعب والهلع أدت بها إلى الوقوع في التناقص أثناء حديثها، فهي شخصيات متذمرة من الحاضر، لا تعرف المستقبل، ولا تستطيع تحديد مصيرها ولا رسم طريقها.

"نقرأ نجمة لننسى، لنتذكر، لنحلم، و لنختنق"[75]

---

[72]– عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ع.س، ص 147.

[73]– بخور السراب، ع.س، ص 145.

[74]– م، ن، ص 81.

[75]–م ، ن، ص17

"فنجلس نتحادث و نحن مزهوون أو مبتئسون، تغمرنا نشوة الحياة و سأم الوجود"[76]

5- **سيميائية الأسماء:** إن توظيف واختبار الروائي لأسماء الشخصيات في هذا النص السردي، لم يكن عبثا وإنما كان ذلك عن قصد وتعمد، بهدف توظيف هذا الاسم توظيفا خاصا، إذ يصبح ذات دلالات ومعان عميقة و بعيدة تتكشف بعد فك رموز الشبكة السردية حيث " إن كل اسم من هذه الأسماء يمثل علامة من هذه العلامات، يجعل القارئ يتواصل مع النص انطلاقا من فضاءات دلالية تتعدى مجرد العلاقة بين اسم ومسمى، إن كل هذه الأسماء هي حقول للدلالة، فضاءات من الرموز والإيحاءات"[77]

وانطلاقا من القول السابق يتضح لنا أن اسم الشخصية قد تجاوز معناه السطحي، وأصبح يمثل علامة من العلامات، إذ إن كل اسم يحمل دلالة تجعل القارئ مرتبطا بالنص وهذه الدلالة لا تقف عند مجرد العلاقة بين الاسم والمسمى، وإنما تشكل شبكة من الرموز والإيحاءات التي تجعل المتلقي طرفا في العملية الإبداعية، فالروائي "وهو يضع أسماء شخصياته يتوخى أن تكون متناسبة ومنسجمة بحيث تحقق للنص مقروئيته وللشخصية احتماليتها ووجودها "[78].

وهكذا تمكن الروائي من اختيار الأسماء التي تناسب مقصديته وهدفه، وهذا لا يعني أنه ليس هناك علاقة اعتباطية بين الاسم والمسمى في الخطاب الروائي، فقد تكون العلاقة اعتباطية بينهما، والأمر الذي يهم الروائي هو أنه لا بد أن يحمّل الشخصية اسم يميزها ويحدد هويتها. لذلك "فإن معظم المحللين البنيويين للخطاب يصرّون على أهمية إرفاق الشخصية باسم يعطيها بعدها الدلالي ويميزها عما سواها"[79]

ومن هنا يتضح لنا أن اسم الشخصية من منظور النقد البنيوي ذو أهمية كبيرة تحدد البعد الدلالي وتميز الشخصية عن غيرها، وهذا ما تجسد في رواية "بخور السراب" حيث تعامل الروائي مع أسماء الشخصيات تعاملا متميزا، لما لهذا الاسم من دور أساسي في الخطاب

---

(76)- م، ن، ص68.

(77)- تجليات الحداثة، ع ،س ،ص ،170.

(78) - محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، ع، س، ص 116.

(79)- م ، ن ، ص ، ن.

السردي، فكانت بعض أسماء الشخصيات ترمز إلى الوطن، وبعضها الآخر يحمل دلالات ومعان أخرى.

ولذلك لابد من أخذ هذه الأسماء بعين الإعتبار من أجل الكشف عن "المستويات الدلالية لهذا الاسم أو ذاك الذي يجد مكانته اللائقة به على المستوى الإجتماعي والأيديولوجي"[80]

إن ا سم الشخصية هو الذي يبث فيها الحركة، ويبعث فيها الحياة ويحدّد هويتها ويجعلها تتميز عن غيرها من الشخصيات، فلولا وجود الإسم لأصبحت الشخصية صماء جوفاء، يصعب التفريق بينها وبين غيرها من الشخصيات الأخرى، فهو بمثابة العلامة الخصوصية التي تجعل كل شخصية تختلف عن غيرها.

لذلك يلجأ الروائي إلى اختيار هذه الأسماء من أجل تحقيق هدف معين يريده على مستوى النص السردي، بحيث يصبح كل اسم يشير إلى جملة من الدلالات و المعاني الخفية تتكشف بعد تفكيك بنية النص السردي وتشريحه.

فالأسماء التي وظفت في رواية " بخور السراب" كانت تحمل دلالات عميقة تتجاوز المعنى السطحي، ومن هذه الأسماء نجد:

1-**شخصية** " **ميعاد**": من العودة والرجوع، وهي تمثل الجزائر، عبر مراحل من تاريخها،حيث الأحداث المأسوية تعود من جديد، فبعد فترة من الإستقرار والهدوء ها هو الوطن يعيش اضطرابا ورعبا، يسقط في قبضة الدمويين، إذ تبدوا شخصية "ميعاد" -من خلال الإطلاع على الرواية- أنها تمثل الجزائر أثناء مرحلة الاستقلال وكذلك أثناء العشرية السوداء.

"كنت ساحرة في ذلك اليوم ووجهك ظل يضيء"[81]

" ماتت ميعاد فيما كنت أقرأ كل شيء"[82]

"من قتل ميعاد حقا؟ هو أم أنا؟"[83]

---

[80]- محمد عزام، تحليل الخطاب السردي على ضوء المناهج النقدية الحداثية ع ،س ، ص 116

[81]--بخور السراب، ع.س، ص 14.

[82]- م.ن، ص 05.

"ميعاد متمددة على السرير بين الحياة والموت...دائما بين الحياة"[84]

إن سحر "ميعاد" ووجهها الوضاء يمثل مرحلة الأمن والاستقرار التي عرفتها "الجزائر " فالفعل (كان) يدل على فترة وجيزة مرت من تاريخ هذا الوطن، متمثلة في فترة الإستقلال واسترجاع الحرية والسيادة الوطنية، غير أن هذه السعادة لم تدم طويلا، حيث نجد البلاد من جديد تعيش أحداثا مأسوية ومجازر دموية، فوجود "ميعاد" بين الحياة والموت يدل على أن الجزائر تعيش احتضارا نتيجة الخيبة التي ألمت بها.

2- **شخصية الجدة "حليمة"**: من الحلم وهي تمثل ماضي الجزائر المشرق ويظهر ذلك من خلال قولها على لسان الراوي:

"كنت جميلة وجذابة وقاهرة"[85]

إن جمال الجدة وانجذاب الآخرين نحوها يمثل جمال الجزائر والطمع في خيراتها من قبل الآخرين،و بالرغم من تكالب الأحداث و المآسي على الوطن إلا أنه لا يزال مشرقا صامدا و يظهر ذلك من خلال المقطع السردي التالي:

" وجهها الذي بقي جميلا إلى آخر لحظة"[86]

3-**شخصية "صالح كبير"**:صالح من الصلاح و اسمه دليل على فعله في هذا النص السردي، فهو الذي أسس مكتبة لصالح القراء و المثقفين، حيث كان يسعى إلى خدمة الوطن و إصلاحه،حيث كان يسعى إلى خدمة الوطن والإصلاح ونشر العلم بين أبنائه.

" الحياة تمضي بين متفجرة و روتينية مملة، بين الجامعة و البيت، و بين الحانة ومكتبة التوحيدي التي أسسها "صالح كبير" و هو شخص لطيف المعشر، حلو المجلس، يحب الأدب و القراءة و يعشق الموسيقى"[87]

---

(83)- م.ن، ص 154.

(84)- م، ن، ص 155.

(85)- بخور السراب ع ،س ص 26.

(86)- م ، ن ، ص 27

(87)- م، ن، ص 54

4- **شخصية "حداد"**: يرمز هذا الاسم إلى كل مثقف جزائري، سخر قلمه من أجل وطنه، و قتل شهيدا في سبيل ذلك، و شخصية "حداد" في هذه الرواية مسقطة على شخصية "مالك حداد"، حيث كان أستاذا جامعيا يعمل بجامعة "قسنطينة" و هو الذي كتب روايته " بخور السراب" بعد أن يئس من الحياة في وطنه، و أصبحت أحلامه و آماله عبارة عن "سراب"، و مضمون روايته يتلخص في تصوير مدى بشاعة المجازر الدموية في الجزائر،و بعد أيام قليلة من صدور هذه الرواية شاع خبر اغتياله على أيدي الدمويين.

" كانت تلك آخر رسالة موقعة من طرف حداد"[88]

إن فئة المثقفين هي أول فئة امتدت إليها يد الغدر، نتيجة للدور الذي تلعبه هذه الفئة في تفعيل الحركة الثقافية و الدفع بعجلة التنمية إلى الأمام.

5- **شخصية "خالد رضوان"** :ترمز هذه الشخصية إلى الجزائريين الذين رفعوا التحدي ضد أولئك الخائنين لوطنهم، و يتضح ذلك من خلال الشعارات التي رفعها منذ كان طالبا في "ثانوية الخطابي"، و استمر مؤمنا بتلك الأفكار إلى أن صار شابا يافعا، و ها هو يدافع عن أولئك البسطاء في هذا الوطن، و يمقت البورجوازيين الذين يعيشون على عرق الفقراء، فكان يحمل الحقد و البغضاء على العالم الذي تعيش فيه هذه الفئة.

" كان يصرخ ضد من يتاجرون بأحلام البسطاء و يصنعون منها أمجادا وهمية"[89]

6- **الطبيب " بيار"** : إن " بيار" إسم غير عربي، و يرمز الروائي من وراء توظيفه إلى الاستعمار الفرنسي الذي بقي في الجزائر قرنا و نصف قرن من الزمن، و العلاقة الزوجية التي تربط " بيار" بالجدة " حليمة" تمثل علاقة "فرنسا" بالجزائر.

" عكس ما توقعت لم يسرد علي قصته مع جدتي، وإنما كان من حين لآخر يتذكر قصة أو حادثة"[3]

---

[88]- بخور السراب ع، س ،ص 102

[89] - م، ن ، ص 34

[3] - م، ن ، ص79

7-"**الطاهر سمين**": من الطهر و النقاء، غير أن اسمه لم ينطبق على فعله، فهو في حقيقة الأمر لم يكن طاهرا، و إنما كان رمزا للخيانة و القتل و التخريب، حيث إنه كان يعمل صحافيا، و إذا به ينقلب إرهابيا يحارب ضد إخوانه و وطنه.

" أعتقد أنك تفهم نوعية الطاهر سمين، و أهمية القبض عليه بالنسبة لنا فهو ليس فقط إرهابيا عاديا، و لكن مخطط كبير"[4]

وهكذا استطاع الروائي أن يوظف أسماء الشخصيات توظيفا مناسبا، حيث حاول أن يعطيها أبعادا دلالية و إيحائية تتجاوز العلاقة بين الاسم و المسمى للغوص في أعماق النص الروائي و محاولة الكشف عن هذه الرموز و الدلالات التي تجعل القارئ يتفاعل مع النص السردي، ليصبح مبدعا و مشاركا في إنتاجه، و بذلك "يخرج من فضاء التلقي السلبي الساكن لينضم في فضاء النص كمبدع و مشارك في حركية النص و بنائه من جديد"[91]

و لعل الجانب المورفولوجي للشخصية يعتبر مرآة عاكسة لهذا الكائن الحركي، الذي يساهم بقسط كبير في بناء النص الروائي، حيث إننا نستطيع أن نتعرف على أحوال هذه الشخصية: شكلها، طبائعها، بنائها، مظهرها العام، مستواها الثقافي، تاريخ ميلادها، فهي شخصيات حاولت أن تجسد حياة مجتمع بكل ما يحمل من هموم و آلام و مآس و جراحات لتجعل منها " صورا حية وواقعية، أو تجسيدا لأنماط وعي اجتماعي و ثقافي"[92] وذلك نظرا لأهمية هذا العنصر السردي في شد خيوط النسيج الروائي.

و هذا ما حاول الروائي تجسيده من خلال شخصيات روايته "بخور السراب" عن طريق تصويره للذات الجزائرية خلال مرحلة التسعينيات؛ مرحلة الإرهاب و المحن و الإغتيالات.

و كل ذلك تجلى بصورة واضحة من خلال الصفات الحسية المتعلقة بالشخصيات، حيث الحزن و الكآبة و اليأس يغلب على معظمها.

---

[4] - م، ن، ص132

[91]- تجليات الحداثة، ع، س، ص 153

[92] - سعيد بقطين، انفتاح النص الروائي(النص و السياق)، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط 2، 2001م) ص 141

و بالرغم من ذلك إلا أن "بشير مفتي" لم يهتم بالمظهر الخارجي لشخصياته اهتماما كبيرا، وإنما اكتفى بالقدر الذي يخدم الغرض العام، و قد حاول الروائي أن يصور نفسه عن طريق وصف شخصياته " فشخصية الأديب و الكاتب تلقي بظلالها على شخصية الراوي"[93] الذي لم يفصح عن اسمه عبر كل صفحات الرواية،وقد كانت شخصية المؤلف متضمنة في شخصية السارد الذي يتحدث بضمير المتكلم.

و هكذا استطاع الروائي أن يصف لنا بعض الملامح الخارجية والصفات المورفولوجية لشخصياته، بهدف جعلنا نعيش معها مأساتها و أحزانها و همومها وآلامها، و هي شخصيات حاول المؤلف من خلالها تمثيل شرائح المجتمع الجزائري أثناء المرحلة الأخيرة التي مر بها الوطن؛ مرحلة الجمر التي عاشها أفراد المجتمع الجزائري نتيجة موجة الإرهاب التي اجتاحت الجزائر، و بذلك استطاع الروائي أن "يعيش فعلا مع أبطال الرواية و يشاطرهم اهتماماتهم و عناءهم"[94] من أجل إيجاد حل لمشاكلهم و التخفيف من مآسيهم و أحزانهم.

فالملامح الخارجية للشخصيات كانت بمثابة الصورة الناطقة لواقع هذه الشخصية و معاناتها فهي تعيش أياما صعبة و مؤلمة بسبب ما يحدث في واقعها من اغتيالات و مجازر دموية ارتكبت في حق أبرياء لا ذنب لهم.

"و في عيني دموع مترقرقة و حزن ممض و قتال شرس رحت أخوضه مع شهواتي الباطنية و أنفاسي الممزقة و جراحاتي الجديدة"[95]

---

[93]–أحمد فضل شبلول، الحياة في الرواية(قراءات في الرواية العربية و المترجمة) ، (الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة و النشر، د.ط، د.ت) ص 69

[94]–د. محمد مصايف ، دراسات في النقد و الأدب(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،د.ط1981م)، ص181.

[95]–بخور السراب، ع، س، ص21.

الفصل الثاني

البناء السيكولوجي للشخصية

يعد البحث في الجانب السيكولوجي للشخصية من المشاكل العويصة التي تقف حجر عثرة أمام الباحثين والمهتمين بهذا المجال، ذلك أن محاولة الكشف عن هذا الجانب الخفي ودراسته تتطلب عناية كبيرة ونظرة عميقة للوصول إلى الهدف المنشود.

ولقد اهتمت الدراسات النفسية بالجانب الباطني للشخصية اهتماما كبيرا، باعتبارها (الشخصية) " من الموضوعات الهامة التي تعالجها من جوانبها المختلفة فروع علم النفس والمحور الأساسي الذي تدور حوله الدراسات الجديدة في العلوم الإنسانية"[96]

ولعل قضية الشخصية من أهم القضايا التي شغلت بال الباحثين والنقاد في الميدان النفسي، فراحوا يحاولون الكشف عن المكوّنات الداخلية لهذا الكائن الحي.

وقد خضعت دراسة الشخصية لنظريات نفسية عديدة، كل نظرية تحاول تفسيرها والوقوف على جوهرها حيث اهتم بها علم النفس العام من حيث إنها مصدر أساسي بالنسبة لبقية الظواهر الإنسانية، أما علم النفس التكويني، وعلم نفس الطفل، وعلم النّفس التربوي فقد عالجها من حيث نموها وتطورها، أما علم النفس الاجتماعي فتناولها من حيث علاقتها بالبيئة الاجتماعية وتفاعلها معها، أما من حيث اضطراباتها النفسية وانحلالها وانحرافها الخلقي، فقد درسها علم النفس المرضي والتحليل النفسي.

وبذلك فقد تمادى هؤلاء المحلّلون النفسانيون"في تحليلاتهم النفسية للشخصية إلى درجة أسقطتهم في غيابات النموذج السيكولوجي العقيم وأبعدهم كثيرا عن الفهم الوظيفي للشخصية"[97] حيث نظروا إليها على أساس أنها كائن حي مكتمل البناء، وأغفلوا عملها ووظيفتها، واهتموا بالجانب السيكولوجي لها.

وبالرغم من الجهود التي قامت بها الدراسات النفسية فيما يتعلق بموضوع الشخصية، إلا أنها لم تسطع أن تصل إلى عمق هذه الشخصيةّ، ولم تستطع كذلك الوقوف على جوهرها وكنهها، فالشخصية الروائية من منظور التحليل النفسي هي شخصية إنسانية تتكون من لحم ودم وعواطف ومشاعر وهواجس ووجدان " فيونغ" "young" يرى أن

---

[96] – د. فيصل عباس، التحليل النفسي لشخصية، (بيروت: دار الفكر اللبناني، ط1، 1994م)–ص 08.

[97] – د.عباس ابراهيم، تقنيات البيئة السردية في الرواية المغاربية، ع.س. ص 153.

الشخصية تتكون من أربعة وظائف سيكولوجية متمثلة في: التفكير، الوجـــدان والحـــس، والإلهام أو الحدس.

وقد تطغى إحدى هذه الوظائف. في نظر يونغ "young" على غيرها، فتصنف الشخصية تبعا لتلك الوظيفة.

وهكذا انصب اهتمام هؤلاء النفسانيين على البعد السيكولوجي للشخصـــية، و مـــن جملة ما اهتم به علماء النفس:

1-**البناء الوجداني للشخصية:** إن البحث في سيكولوجية الشخصية يعني محاولة الكشف عن أفكارها وعواطفها ووجدانها ومشاعرها والاهتمام بما "يدور داخـــل الإنســـان مـــن انفعالات وصراعات تؤثر على تفكيره وسلوكه"[98].

وفي رواية " بخور السراب" حاولت أن أكشف عـــن عواطـــف الشخصـــية وانفعـــالات ووجدانها، وتأثير ذلك على أفكارها حيث نلاحظ أنها تعاني إضطرابات داخلية وأزمـــات نفسية، فالشخصية " تعيش قلقا دائما مع ذاتها ومع محيطها"[99] بسبب ما يحدث في وطنها من وقائع وأحداث مؤلمة؛ تلك الأحداث المتمثلة في المحن والاغتيالات والإرهاب، حيـــث الخوف والرعب يطارد الشخصية ويعكر عليها صفو حياتها.

"إن الوضع سيئ و إن أهون الأفعال هو القتل"[100]

"في ذلك السياق المشحون بالتوتر و العجلة النافذة ة عدم الصبر على التغيير بقيت حريصا على حريتي، شاعرا بأن ما يحدث سيصيب الجميع بلوثة سوداء سيلطخ أرضنا، هل هـــو الخوف.. خوفي القديم هو مصدر هذه الإحتياطات"[101]

وقد تجلت هذه الأحداث المأسوية بصورة كبيرة من خلال تصـــريحات الشخصـــية و ردود أفعالها وهذا ما نجده مجسدا على لسان الراوي:

---

[98] – نبيل راغب، فن الرواية عند السباعي، (مكتبة الخانجي)، د.ط، د.ت، ص 88.

[99] – سعيد يقطن، انفتاح النص الروائي ،ع، س، ص 141.

[100] – بخور السراب، ع، س، ص101.

[101] –بخور السراب، ع، س، ص69.

" فما أصابني بعدها لا يمكنني الحديث عنه، وقد أسرد كل حالات حزني، لكن لن نصل أبدا إلى مستوى ذلك الوجع الخرافي الذي حلّ بي"[102]

"كان وجهي يشحب و'قلبي يذبل، كنت أحس باختلاط عجيب، الروح تتفتت عن آخرها والجنون يدق على باب رأسي"[103]

" أسمع إلى دوي يفجعني لكنني لا أنظر إلى المرآة المواجهة لي"[104]

"استمر القتل والعنف خلال كل تلك السنة من عام 1994م"[105]

إن شحوب الوجه كمظهر خارجي ناتج عن قلق داخلي واضطراب نفسي متولد عن الخوف والرعب الذي يحيط بالشخصية، فـ"الشخصيات تتشابه في ملامحها النفسية إلى حد كبير"[106]، فهي تعيش في مجتمع يسيطر عليه الحزن و الخوف، و يغلب عليه اليأس و التشاؤم و النظرة السوداوية للحياة.

"أما أنا فماذا كنت في الحقيقة؟ لا شيء..يائس أحاول عبثا و بطريقة مخزية دون شك التحقق في وجود خارجي لم يكن يعني الكثير.."[107]

"بقيت في ساعة الشؤم تلك جامدا و قلبي يعتصره ألما أو مثل شخص يسبح في الفراغ و هو لا يعرف لحظة سقوطه"[108]

"سمعت أخبارا تحذرنا من مصير أسود، لا أريد أن أفقدك بعد أن عثرت عليك"[109]

---

[102] – م، ن، ص37

[103] – بخور السراب ،ع،س، ص 16.

[104] – م.ن، ص 12.

[105] – م.ن ص 91.

[106] –د. عبد المحسن طه بدر ، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر(1870–1938)، (دار المعارف: مكتبة الدراسات الأدبية ،د،ط 1963)ص161

[107] –بخور السراب، ع، س، ص65.

[108] – بخور السراب، ع، س، ص104.

[109] – م، ن، ص104.

وهكذا حاول الروائي بحنكته، وذكائه أن " يربط بين تصوير الشخصية من الخارج، وتصويرها من الداخل"[110] في شيء من التوافق والانسجام فبدا الجانبان المورفولوجي والسيكولوجي وكأنهما جانب واحد.

ولعل الشخصية أصبحت تشعر بشيء من الاختلاط العجيب في أفكارها و مفاهيمها نظرا للظروف التي تعيش فيها، فأصابها شيء من الجنون و بين الحين والآخر كانت تسمع دوي رصاص أو أصوات غريبة ترعبها وتفجعها، و تجعلها تعيش المأساة من جديد.

"لأسباب أجلها لم أبك و كيف نقدر على البكاء عندما لا يكون شافيا ولا منيع و لا قدرة له على إنقاذنا مما نكتوي به من ألم الفراق"[111]

إن الشخصية تعيش في هم و ضيق، محيطها كئيب يطغى عليه الحزن و اليأس نتيجة فقدان أقاربها و أحبابها، و حتى البكاء استعصى عليها، و ماذا عسى البكاء إن يفيد إن لم يخفف عنها من آلامها و أحزانها؟

"و حزن ممضى و قتال شرس رحت أخوضه مع شهواتي الباطنية و أنفاسي الممزقة و جراحاتي الجديدة"[112]

" بنبرته المجروحة ومشاعره المأساوية المتفاقمة بقي يتكلم و أنا غير مدرك لحالي، ماذا أفعل و الشعار الوحيد الذي كان يتردد في رأسي كل واحد يلزم بيته، كل واحد ينتظر قدره"[113]

لقد أصبحت الشخصية شاردة الذهن، غير مدركة لأحوالها نتيجة تفكيرها في شيء أساسي وهو الموت.

"هنا شعرت بالخوف أو ما يشبه المؤامرة و لم يكن من الصعب علي تخيل أشياء في تلك اللحظة و وسط ذلك السياق الذي يذهب كما يقول عامة الناس، "المحرم بالمجرم""[114]

---

[110] – د. سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة، القاهرة: دار المعارف، ط1، 1970م)، ص 27.

[111] – بخور السراب، ع.س، ص: 78.

[112] – م..ن. ص70

[113] – بخور السراب، ص. ص: 89.

"فمن يدريك غدا ماذا سيحدث لي أو لك، هذه هي الحرب أقدار مأساوية ومصائر تعيسة حتما..."[115].

إن الشخصية تخاف من الغد، تجهل مستقبلها نتيجة لما حل بها، وهذا ما نلحظه من خلال الحوار الذي دار بين " خالد رضوان و السارد" فيما يتعلق بقضية اختفاء "الطاهر سمين"، والشخصية تظهر –من خلال هذا المقطع– أنها حزينة ممزقة الأنفاس، مجروحة المشاعر والعواطف، فالجو النفسي لهذه الشخصية يوحي لنا بمدى المعاناة التي تعيشها ويظهر ذلك من خلال دراسة الكاتب لنفسيتها " ومشاعرها و إضطراباتها وثورتها"[116] حيث حاول أن يحلل الانفعالات ويدرس الأفكار والمشاعر من خلال تصويره للجانب الباطني.

"و لا أخفي أن شيئا من الخوف قد سكنني فأنا أسأله بارتباك واضح"[117]

" وأنا بدوري تكتمت على مشاعري الخافتة وأحزاني الملتهبة"[118]

نلاحظ أن بعض الشخصيات تحاول إخفاء مشاعرها وأحزانها وتتظاهر بالصمود والقوة أمام الآخرين بالرغم من الخوف و الرعب الذي يعيشه.

" سيستمر معي هذا الشعور لأسابيع بأكملها، سأحس بذاتي تحترق، و بشعلة مضيئة بداخلي تنطفئ بكلمات تموت وكلمات تحيا"[119]

لقد أحست الشخصية بانهيار قوتها أمام عظم المصيبة التي حلت بها، إذ حاول الروائي أن " يخوض في نفوس الشخصيات"[120] "مصوّرا بذلك الاضطرابات النفسية والآهات الداخلية التي تعيشها هذه الشخصيات، والتي كثيرا ما تلجأ إلى اجترار أحزانها في صمت واستسلام وخضوع".

---

[114] – م، ن، ص129.

[115] – م.ن، ص.89.

[116] – جورج سالم، المغامرة الروائية (دراسات في الرواية العربية) (دمشق: منشورات إتحاد الكتاب العرب د.ط 1973)ن ص 67.

[117] –بخور السراب، ع، س، ص128.

[118] – – بخور السراب،ع، س، ص: 79.

[119] – م، ن، ص.79.

[120] – د. سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة، ع.س، ص 134.

وهكذا حاول الروائي أن يصوّر بطريقة فنية الحالة النفسية التي تعيشها شخصياته، وهذا التصوير " يقتضي سبرا لأغوارها واكتناها لأسرارها"[121]

"غمامة سوداء غطت عيني و بين ثانية و أخرى أحسست بالإغماء دوار خاطف صداع برأسي [122]"

لقد حاول الروائي أن يكشف عن باطن هذه الشخصية من خلال انفعالاتها وعواطفها، وتأثير الوقائع الخارجية على الجانب الداخلي حيث " تتلقى مصيرها على النحو الطبيعي الذي يفضي إليه واقع البيئة"[123]؛ هذا الواقع المرّ الذي تعيشه الشخصية نتيجة الظروف الحالكة التي تمرّ بها البلاد.

"ما أرغب فيه أن تكون في محك يومي مع الموت يضاعف من نشاطك الداخلي، يزيد من توتير علاقتك بالحياة"[124]

"الموت هو الذي يوحد في بهذه الحالة"[125]

"أسمع خلفي طلق رصاص"[126]

من خلال هذه المقاطع السردية يتضح لنا أن الشخصية متوترة، قلقة، تعيش إضطرابات نفسية، فهي تنتظر الموت في أي لحظة يفاجئها، تسمع طلق الرصاص فيفجعها وترتعد فرائسها.

وهكذا استطعنا أن نلمّ " بمعرفة دوافعها وانفعالاتها وعواطفها"[127] حيث ظهرت من خلال ذلك أنها تعيش تناقضات صارخة حيث الخوف، الرعب، البكاء لا يفارق الشخصية"

---

[121] – الثقافة، ع.س، ص 85.

[122] –بخور السراب، م، ن، ص105.

[123] – د. محبة حاج معتوق، أثر الرواية العربية الحديثة، ع.س، ص 134.

[124] – بخور السراب، ع ، س، ص117.

[125] – م، ن، ص: 06.

[126] – م، ن، ص: 12.

[127] – أحمد طالب، الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، (في فترة ما بين 1931–1976م)، ص 105.

أصوات ترتعد، أصوات تتحد..أصوات تبكي...أصوات تضحك...حانة الأقــواس وهذه الأصوات"[128]

إن التحدي والخوف والرعب كلّها مكونات ساهمت في تكوين، فبــدت وكأنهــا مصــابة بهوس، تنتظر الغد لعله أرحم، ولكنها سرعان ما تتراجع ويأخذ بها الشك مأخــذ بعيــدا، فتخاف من هذا الغد المجهول.

"الغد المخيف والقاتل...حيث الحكمة ضالة ومضلة، العناصر المكونــة للــزمن تتفســخ وتتناثر بدموية على المساحات البيضاء للكون"[129]

ومن هنا نلاحظ أن الشخصية تتحدث بلغة معبرة عن معاناتها؛ لغة توحي بكل مــا هو دموي وذلك نتيجة انعكاس أحداث الواقع على نفسية هذه الشخصية.

"كل يوم جرحى و قتلى و معطوبين تصور مآسي العائلات مــن جــراء هــذه الحــرب القذرة"[130]، "و يمكننا أن نتعرف على ذلك من خلا سلوك الشخصية و أفعالها)"[131]

و هكذا فإنه كثيرا ما تقع في التناقضات أثناء حديثها و معاملتها لغيرها.

" وأن هذا الفعل كان مسليا، معلما، مثيرا، محفزا محبطا، مخيفا، أنه كان خطواتي الأولى للنزول إلى قاع الجحيم والصعود إلى سقف العالم"[132]

إن التناقضات التي تقع فيها الشخصية تدل على حالتها النفسية المأزومة من جهة، ومن جهة أخرى تدل على واقعها الأليم، ويظهر ذلك من خلال السلوكات التــي تصــدر عنها،

---

[128] – بخور السراب، ع.س، ص 12.

[129] – م.ن، ص.ن.

[130] – بخور السراب،ع، س، ص92.

[131] –نضال الصالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربيةالمعاصرة(دمشق: اتحاد كتاب العرب، د.ط2001)، ص174.

[132] – بخور السراب، ع.س.ص20.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تمكن الروائي " إظهار الدوافع السلوكية الداخلية وتأثيرها على حياة الإنسان وتصرفاته"[133].

وهذا ما دعت إليه المدرسة السلوكية النفسية التي تربط سلوك الفرد بالجانب الداخلي له.

ومن ثمّ بدا الاهتمام بالعالم الداخلي للشخصية واضحا حيث كان الروائي" يركز أساسا على وصف الشخصية وتحديد انفعالاتها وإبراز إشكاليتها، فهي وحدها التي تمثل بؤرة الحكي"[134]

"الصمت يغمرني و أنا ابتسم ببلاهة، لمن يا ترى؟ للعالم الذي أودعه أم للعالم الذي يودعني، من كان يودع الآخر في تلك اللحظة؟ رأسي يطفح كيلا و ميراثي ينتفض و الحزن يعسكر في جبهة القلب.."[135]

ولتوضيح ما سبق نأتي بجدول لإحصاء بعض الكلمات المتناقضة التي تتفوه بها الشخصية:

الكلمة	ضدها	المقطع السردي	الصفحة
تبكي	تضحك	أصوات تبكي.....أصوات تضحك	12
الحرية	القيود	جدلية الحرية والقيود	17
ننسى	نتذكر	تقرأ نجمة، لننسى، لنتذكر	17
النزول	الصعود	للنزول إلى قاع الجحيم والصعود إلى سقف العالم	20
محفزا	محبطا	وأن هذا الفعل كان...محفزا محبطا	20
مجيء	ذهاب	وتتركني بين مجيء وذهاب	36
حضور	غاب	وحضور وغياب	36

[133] – هداية مرزق، الشخصية الروائية عند الطاهر وطار، جامعة الجزائر(رسالة مخطوطة لنيل درجة الماجستير 1986–1987م) ، ص 13.

[134] – د.محمد الباري، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، ع.س، ص56

[135] –بخور السراب، ع، س، ص 85.

مستعص	لذيذ	تدري أنه مستعص لذيذ	40
سأحبّ	أكره	سأحب وقد أكره	47
القريب	البعيد	ماذا سيكون مصيري القريب والبعيد	47

" **جدول يوضح بعض الكلمات المتناقضة التي تقع فيها الشخصية أثناء حديثها**"

من خلال هذا الجدول نلاحظ أن الشخصية مصابة بمرض نفسي يجعلها تقع في التناقضات، وهذا يدل على أن الواقع أليم الذي تحيا فيه هو الذي تسبب لها في خلق هذه العقدة النفسية.

"غير أن وضعي النفسي سيء للغاية خاصة بعد مقتل حداد و في الحب علاقة معقدة تماما"[136]

و قد انعكس ذلك كله على البناء النفسي لها، فأثر سلبا عليها، فبدت نفسيتها مضطربة محطمة، لذلك لجأت إلى بعض التساؤلات لتكشف عن كنهها وتعرف الحقيقة التي تحيا من أجلها.

"بدأت أتساءل بنضج عما أبحث عنه؟ هذا الذي يؤرقني ليل نهار وليس سؤال الحب ولا الحياة ولا الموت. ولكنه السؤال نفسه المعنى المختفي وراء كل شيء الغاية من هذا كلّه؟"[137]

"ألم أخن حتى صدقي مع نفسي؟ ألم أكذب على ميعاد؟ بحب أو بوهم فيها،فلم أخبرها بالحقيقة؟"[138]

ولعل الشخصية قد لجأت إلى هذه التساؤلات للتخفيف والترويج عن نفسها من عبء الفاجعة التي حلّت بها، فهي " شخصية ضعيفة تتهرب من المواجهة

---

[136] –بخور السراب، ع، س، ص119.

[137] – م، ن، ص85

[138] – م، ن، ص92

والاصطدام"[139]؛ مواجهة الواقع الأليم، المليء بالتناقضات والأحداث المأسوية، حيث أصبح الهروب منه هو الحل الأنجع لدى الشخصية.

"وجدتها فرصة لأهرب من البيت، فما بقي لي عيش مع هذا الوالد الجاهل و الأحمق"[140]

إن الإضطراب النفسي و التمزق الداخلي أثرا على لغتها فجاءت معذبة، تحمل العديد من المتناقضات.

"أحببت، كرهت، قاومت، خنت، تقت للطيران، أكثر من مرة و في كل فرصة سقطت"[141]

و هكذا حاول الروائي أن يعطي للبناء الداخلي لهذه الشخصية " شيئا من التناسق مع البناء الخارجي"[142]، غير أنه اهتم بالبناء الداخلي على حساب البناء الشكلي، لأن كل ما يصيب الشخصية قد يؤثر على الجانب الداخلي، فهي تعيش الخوف قبل أن يلحق بها، و تخشى الموت قبل أن يداهمها.

إن الاضطرابات النفسية والقلق الداخلي وبعض التوترات كل ذلك عبر عليه المظهر الخارجي الكئيب لهذه الشخصية حيث الخوف، الحسرة، الألم، الفاجعة، الخراب، كل هذه المفاهيم تؤطر حياة هذه الشخصية في فترة مرت بها الجزائر من تاريخها.

"كنا نمشي و نرقب الناس المتجولة مثلنا أو المتوجهة نحو شؤونها فإذا الحيرة على كل وجه و الآلام و المخاوف مرتسمة في كل عين لا أحد يدري ما يختبئ وراء كل لحظة"[143]

---

[139] – محمد البصير، الموقف الثوري في الرواية الجزائرية المعاصرة (1970–1982) رسالة مخطوطة لنيل شهادة الماجستير 1985–1986م، ص85

[140] –بخور السراب، ع، س، ص35.

[141] – بخور السراب، ع، س، ص11.

[142] – د. بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، ع، س، ص 12.

[143] –بخور السراب، ع، س، ص 93.

ولتأكيد ما سبق نأتي بهذا المقطع السردي من رواية "بوح الرجل القادم من الظلام" "لإبراهيم سعدي" باعتبارها إحدى الروايات التي عالجت موضوع المحنة في الجزائر وحاولت أن تعطينا صورة صادقة عنه.

"جثث متفحمة، أجسام ممزقة، أطراف لحم بشرية، دم صراخ، دخان، نار، صبي مضرّج الوجه بالدم يبكي ويصرخ، أمي! أمي! أمي! وجوه مذعورة رجل يتخبط على الأرض وسط حبات طماطم مسحوقة و مبعثرة"[144]

وكل هذا كان نتيجة لما عرفته البلاد من إضطرابات ومناوشات وأحداث تمثل فترة حرجة من تاريخ الجزائر. حيث الشخصية تعيش أياما حالكة ومظلمة بسبب المجازر الدموية.

وقد استطاع إبراهيم سعدي من خلال وصفه وتصويره لهذا المظهر البشع أن "يرسم المشاعر الإنسانية التي تعتري شخصياته"[145] و الألم الذي استقر في أعماقها إلى الأبد.

2-**إنشطار الذات:** إن انتشار الرعب والخوف و كثرة الإغتيالات، كلّ ذلك جعل من الشخصية شخصيتين، شخصية تعيش الحاضر الأليم بكل مآسيه ومحنه، وشخصية تتوق إلى المستقبل أو تحن إلى الماضي بذكرياته السعيدة هروبا من هذا الواقع الأليم ومن "مواجهة المواقف الحرجة"[146].

ولهذا ظهرت هذه الشخصية وكأنها مصابة بانهيار عصبي، حائرة، قلقة غير راضية بواقعها، ساخطة على مجتمعها منقسمة التفكير بين لحظتين، لحظة مضت وانتهت و لحظة لم تحن بعد.

" حيث أكون موزعا بين ذات تتأمل الماضي وأخرى تحاول أن تهرب إلى المستقبل ينبعث ميعاد من جديد"[147]

---

[144] – ابراهيم سعدي، بوح الرجل القادم من الظلام (الجزائر: منشورات الاختلاف، ط1، 2002م)، ص31.

[145] – وليد النجار، قضايا عند نجيب محفوظ، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1985م)، ص 53.

[146] – محمد البصير، الموقف الثوري في الرواية الجزائرية المعاصرة، ع، س، ص312.

[147] – بخور السراب، ع، س، ص 48.

"أنا هكذا مثالي ووقح، زعيم وخائن..قد أمر على الأساسي فـــي حيـــاتي دون أن أتنبـــه لـه"[148]

"إنه الكاتب الوحيد الذي يعيد رسم ما تلاشى و ترميم عضوتي بهذه الأرض"[149]

من خلال هذه المقاطع السردية نلاحظ أن الشخصية تعيش ســـاعات كئيبـــة فـــي حياتها، تحنّ إلى الماضي وتحاول الهروب إلى المستقبل، متجـــاوزة الحاضـــر، وذلـــك بمحاولتها محوه من الذاكرة، ولهذا فكثيرا ما تغرق في التفكير في ماضيها " ولكـــن هـــذا الوهم سرعان ما يتبدد"[150]

---

[148] – بخور السراب، ع، س، ص 48

[149] –م، ن، ص17.

[150] – سليمان حسين ، مضمرات النص والخطاب، دراسة في عالم جبرا إبراهيم جبرا(دمشق: اتحاد الكتاب العربـــي، د.ط، 1999م)ن ص 358.

وتعود لتعيش اللحظة الراهنة من جديد بكل ما تحمل من محن واغتيالات و مآسي و أحزان و مجازر دموية.

"ماذا لو انتحرت الآن"[151]

"أنطمر حتى لا يبقى مني غير دوي الرعب، جنون الكلام، هــوس اللامعنـــى، مـــرض الذاكرة، عصاب الأحلام.."[152]

لقد أصبحت الشخصية عاجزة عن فهم نفسها، نتيجة الأحداث المرعبة التي تعيشها و ما يحث حولها.

" كان الثوري يظهر فجأة عاجزا عن فهم نفسه وللحظات أرى مشهد تفجر دموعــه، و عجزه عن مبايعة نفسه"[153]

"لأول مرة شعرت بالخطر و طلبت منك أن تعيدي سرد الحكاية علي فانفجرت دموعــك فجأة، بطريقة أثارت كل كوامن عطفي عليك و إحساسي بك"[154]

إن البكاء هو الوسيلة الوحيدة التي تلجأ إليها الشخصية للتخفيف عن نفســها، مــن همومها وإنهزاماتها أمام الواقع وبذلك " يكون الروائي قد زاوج بين نفسية هذه الشخصية المحطمة وبين الواقع"[155] الكئيب المنهار الذي يكشف عن الآلام والجراح التي اكتوت بها الشخصية خلال العشرية السوداء، فهي تعيش في "عالم التناقضـــات السياســية و نفــس الإنسان فردا أخذ أم عضوا في جماعة...هي منعكس هذا الإنقسام و التناقض و التوزيع و هي وارثة منه"[156]

---

[151] – بخور السراب، ع،س،ص 19.

[152] –م،ن، ص06.

[153] – د. بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائــرية، ع.س، ص 18.

[154] – بخور السراب، ع، س، ص15.

[155] – د. بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، ع.س، ص 18.

[156] –محمد ملياني، ثنائية الصراع و العنف في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، (رسالة مخطوطة لنيل شهادة الماجستير2000)، ص35.

"وجهها الملفوف بغلالة حزن سوداء نظرتها المترددة و الحنونة و تدفق صوتها الممتلـــئ برعشة خاصة؛ صوتها القادم من أقصى الخوف، أقصى الأحزان المتمركزة بعنف فـــي ثنايا ذاكرتها"[157]

"كانت حكاية ما ترسم في الأفق ...حكاية ترميني من جديد في غواية البحث عن نفسي أو عن نبوءتي أو عن هذا الطريق الذي أسير فيه بلا إدراك لمعناه أو فهم لجوهره"[158]

لقد أصبحت الشخصية ممزقة ومشتتة منهارة عصبيا وسط العديد من الوقائع والأحـــداث المؤلمة و المرعبة، وكذا اختلاف لأيديولوجيات والمذاهب، فالأفعال التـــي "تقـــوم بهـــا الشخصية في الرواية تستلزم دائما شرطا إيديولوجيا، ويكون مدعما بموقف إيـــديولوجي محدد ليس هو الموقف الوحيد الممكن، وإذن فإنه معرض للمناهضة"[159]

وهذا ما جسده الروائي في نصه السردي حيث تعرض إلـــى ذكـــر جملـــة مـــن الاتجاهات كالاتجاه الاشتراكي، والاتجاه البورجوازي، واتجاه المتدينين الذي يمثل الحدث الأساسي في الرواية.

"لقد شوهوا حقيقة هذه الثورة الشبانية الجديدة في حين أعطوا شـــرعية للمتـــدينين القروسطويين الذين لا يريدون تحررنا الحقيقي لكن سجننا في الماضي، و أنتم تعرفـــون ماذا فعلوا فجأة لقد حولوا الدين الحنيف إلى لباس تقليدي ليس جميلا بالمرة"[160]

" حسب علمي فنحن لا نزال بلدا اشتراكيا"[161]

" هذه أعراض البرجوازيين الذين يعيشون عل عرقنا ودمائنا وما نكده من جديد"[162]

" كتلك الجماعة المتشكلة من المتدينين الذين لم يكن يرون فيه إلاّ إباحيا مارقا عن الـــدين وخارجا عن الملة"[163]

---

[157] –بخور السراب، ع، س، ص82.

[158] – بخور السراب، ع، س، ص، 29.

[159] – مخائيل باختين، تحليل الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، (القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1987م)، ص، 203.

[160] –بخور السراب، ع، س، ص81.

[161] – م، ن، ص، 35.

[162] – م.ن.ص.ن.

وهكذا يتضح لنا أن النص الروائي هو" الوحيد القادر على تتبع نغمات التأوه ورصد أماكن التألم"[164] التي تعاني منها الشخصية؛ هذه الشخصية التي تعيش رعبا وقلقا وخوفا وهذا ما أدى إلى " طغيان النظرة التشاؤمية، أو القلق الداخلي عل معظم الشخصيات الروائية وهي تتفاعل مع أحداث الزمن الحاضر ومنعرجاته"[165]؛ هذا الحاضر الذي أفقدها هويتها، وجعلها تبحث عن ذاتها، وتحاول تكوينها ولمّ أشتاتها من جديد، فتتبوء بالفشل نتيجة لما يحدث من إراقة للدماء و اتساع ظاهرة العنف و الإرهاب في المجتمع الجزائري، فالشخصية ساخطة على مجتمعها ترفض"العنف المادي و المعنوي باعتباره الصفة غير الإنسانية لحياة المجتمع الجزائري"[166] هذه الصفة التي تتصف بها فئة ظهرت في هذا المجتمع خلال مرحلة التسعينيات فنشرت الرعب و الخوف باستخدام العنف المادي المتمثل في القتل و الإعتداءات و العنف المعنوي الذي تمثل في التهديد.

"لقد أحرقوها في الليل و بات الرصاص يلعلع طوال هذه الليلة سينتقمون حتما من هذه القرية، لقد أيقظت فيهم أعظم الشرور"[167]

"ألا تعتقد أن نسيان من يقتلون أو يختفون فيما بعد سيكون جريمة"[168].

"دق قلبي كضربات قاتلة و ميتة، أحسست للمرة الأولى برجلي تموتان و بجسدي يغرق، بلزوجة في أصابع يدي، و عرق يتفصد بغزارة من جبيني و يلطخني كليا"[169]

---

[163] – م، ن، ص، 42.

[164] – د.بشير بويجرة محمد، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (1970، 1986)، (المؤثرات العامة في بني الخطاب والنص) (دار الغرب للنشر والتوزيع، ط1، 1987)، ص، 203.

[165] – بخور السراب،ع.س، ص، 98.

[166] –علال سنقوقة، المتخيل و السلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية(الجزائر: منشورات الإختلاف، ط1 –200)، ص155.

[167] –بخور السراب، ع،س، ص73

[168] – م، ن، ص93.

[169] –م، ن، ص53.

و هكذا تبدو هذه الشخصية تائهة، حائرة، لا تعرف ذاتها ولا تستطيع تحديد موقفها تجاه القضايا، فهي شخصية باهتة مستسلمة خاضعة لظروف الواقع التي لم تستطع تغييرها، فبقي رفضها لهذا الواقع رفضا داخليا(متعلق بالجانب الداخلي).

و قد بدا ذلك واضحا من خلال شخصية السارد الذي كثيرا "ما كانت آلام الآخرين تخزه و تثير انفعاله فتفضي به إلى حال من الغضب الجامح!"[170] تارة و الخوف و الرعب تارة أخرى، فهي شخصية متناقضة في أفكارها و أقوالها، و كل تصرفاتها.

"كانت توهمات الموت أقوى من وقائعيته فالخوف يصنع الموتى و يحدثه كما لو أنه أمر واقع، سيحدث لا محالة"[171]

" أجدني محتارا باستمرار ومكتئبا على الدوام"[172]

"نقفز ثم لا ندري متى نصل أم متى نسقط؟ لا ندري أي شيء ...نحن نبحث لأننا لا ندري، نحن ندري أننا لا ندري"[173]

من خلال هذا المقطع السردي نلاحظ أن الشخصية غير قادرة على تحديد مصيرها، ولا معرفة طريقها وهذا ناتج عن الجو المأسوي، الذي كان يخيم عليها.

وهكذا أصبحت الذات الجزائرية مفقودة وسط الصراعات والنزاعات الأيديولوجية المختلفة، ومع ذلك فكثيرا ما تلجأ هذه الشخصية إلى توحيد ذاتها لتعكس صورة الإنسان الجزائري؛ " الإنسان الذي يحاول توحيد ذاته المشتتة في أكثر من أنا، وكأنه جماعة تتصارع معا، أو كأنها مكان تصطدم فيه الأحداث والقوى القهرية"[174]

وتوحيد الذات لا يتم في نظر الروائي إلا بالعودة إلى ذلك الكتاب الشبه سحري، الذي تركه الوالد لولده بعد موته، والذي يوحي بالتمسك بالماضي وبالتراث والسير على نهج السابقين.

---

[170] –د. عبد العزيز شرف، الأسس الفنية للإبداع الأدبي، ع، س، ص192.

[171] –بخور السراب، ع،س، ص83.

[172] – م، ن، ص 98.

[173] – بخور السراب، ع، س، ص 53

[174] – د. نبيلة إبراهيم، فن القص بين النظرية والتطبيق (القاهرة: مكتبة غريب، د.ط، د.ت) ص 173.

"في الكتاب ما يشبه السحر المبين، خلاصة الحقيقة بأرضها و سمائها و ترياق لكل العلل، و سم لكل الأرواح، فيه شفاء للمارقين و دواء للمتألمين و صواب للجانحين و طريق لغير المهتدين.."[175]

وهكذا استطاع الروائي –من خلال ما سبق– أن يصوّر لنا خلجات الذات الجزائرية التي عاشت فترة من الرعب والخوف و لكن السؤال الذي يطرح هو أنه هل استطاع الروائي الجزائري بعامة "وبشير مفتي" بخاصة أن يعالج موضوع المحنة كما عاشته الذات الجزائرية؟

ما سبب إنشطار الذات في هذه الفترة؟

هل عبرت الشخصية الروائية بصدق عن الشخصية في الواقع العياني؟

و كيف استطاعت هذه الشخصية أن تعيش بين أمل ضاع منها و ألم استقر بداخلها؟

3–حب العزلة: إن عدم مشاركة الشخصية الآخرين أراءهم وأفكارهم والتزامها مكانها، ولجوئها إلى العزلة دليل على انطوائها وخوفها من المصير المحتوم، فالحاضر أليم، والمستقبل مجهول، والماضي مفقود ولذلك وجدت الابتعاد عن الآخرين ملاذا لها للتفكير في مشاكلها و محاولة إيجاد حلول لها.

"حتى إذا ما فاجئني مرة صالح كبير و هو يلومني على هذه العزلة التي أفرضها على نفسي"[176]

"لكنك تعيش بعيدا عن الناس ولا يهمك مصير الآخرين"[177]

"كان في الحقيقية قليل الكلام نادر الحركة، ويحب العزلة والانطواء على النفس"[178]

---

[175] –بخور السراب، ع، س، ص121.

[176] –بخور السراب، ع، س، ص70.

[177] – م، ن، ص 35.

[178] – م.ن، ص 39.

إن "خالد رضوان" شخصية منطوية على نفسها، تتحاشى الاختلاط بالآخرين، قليلة الكلام، تعيش عقدا نفسية جراء واقعها المعيش، فالشخصية في رواية " بخور السراب" تميل إلى "العزلة والبعد عن إقامة علاقات ودية مع الآخرين"[179]

"كنت أشعر دائما بالغربة عن الآخرين بوحدانيتي المفرطة"[180]

إن الشخصية تعيش اغترابا بين أهلها وذويها وحتى مع نفسها تشعر بوحشة مفرطة، فهي كئيبة، يائسة، تعيش لحظة من الارتداد إلى الماضي الذي يعتبر مملكتها الفضلى.

" وأنا أتذكرها الآن، غارقا في لحظة خرساء وغير قادر على صنع فجوة في جدران اليأس"[181]

"تذكرت كلّ شيء الآن، متى بدأت الحكاية وأين انتهت"[182]

"أذكره، نعم اذكره كما اللحظة، و قد غطاني بإزار أبيض و لفني معه، فجمعتنا السكينة و الوقار و ضمنا سرير رغبة"[183]

من خلال هذه المقاطع السردية نلاحظ أن الشخصية تحن إلى ماضيها وتحاول التخلص من حاضرها المحّمل بالمآسي والآلام والأحزان.

إن خوف الشخصية وتذمرها من حاضرها وتشبثها بماضيها، وجهلها لمستقبلها جعلها غير قادرة على تحديد مصيرها، فهي شخصية " تعاني أكثر مما تبني رؤية مستقبلية، فالواقع لا يحمل سوى الألم والمستقبل يبدوا غائما ومعتما، ولا أمل لها في تغيير هذا الواقع الإنساني"[184]

---

[179] – د. فيصل عباس، التحليل النفسي للشخصية، ع.س، ص 35.

[180] – بخور السراب، ع.س، ص: 97.

[181] – بخور السراب، ع، س، ص 16.

[182] –م، ن، ص

[183] –م، ن، ص26.

[184] – الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الاتصال والثقافة (الخطاب الروائي في ذاكرة الجسد، من نقد الواقع، إلى البحث عن الذات، ص 212.

لقد فقدت الشخصية الأمل في عودة الأمن والاستقرار وإصلاح الواقع أو تغييره، فلم تعد تحلم بالسكينة و الهدوء.

" لم أكن أحلم بالعيش، بالسكينة ربما، بساعة صفاء مذهلة خيارات لا نأبه لها إلا في أزمنة الحرب"[185]

" وأنسى ما أعيش فيه من جحيم قاس وليليات رعب مفزعة"[186]

ومما لا شك فيه أن الروائي استطاع أن يصور لنا معاناة الشخصية وإضطراباتها النفسية، محاولا بذلك سبر أغوار الذات الجزائرية أثناء فترة المحن والاغتيالات.

" نعوت سوداء من ذلك العهد البعيد.

تأتي من العمق، من داخل الداخل، من دكنة الفؤاد وجرح الطريق"[187]

"الواقع الذي سيملأني بالتناقض و الحيرة، بالخوف و السعادة بالشك و اليقين و سينبت بداخلي أسئلة جديدة عن علاقة بما يحدث في هذه البلاد"[188]

لقد استطاع " بشير مفتي" أن يصور جانبا من جوانب الشخصية في هذه الفترة، وكما نلاحظ قد ركز اهتمامه على الجانب النفسي لشخصياته، حيث جعل أسلوب الشخصية ومعاملتها لغيرها يعكس نفسيتها الحزينة والمحبطة ومع ذلك يبقى هاجس الخوف يسيطر على هذه الشخصية ويسكن دواخلها.

2-**الخوف الذي يسكن الشخصية:** إن الهاجس الذي يطارد الشخصية في هذا النص السردي يتمثل في هاجس الخوف والرعب؛ الخوف الذي أصبح لا يفارقها لحظة واحدة، فامتزج بعروقها وسار في مفاصلها وسكن بداخلها، وهذا المقطع السردي يؤكد ذلك.

" فأنسى ذاتي الداخلية التي يعشعش فيها الرعب ويسلبها الخوف"[189]

---

185 – بخور السراب، ع.س، ص 10.

186 – م.ن، ص 124.

187 – بخور السراب، ع، س، ص 124.

188 – م، ن، ص62.

189 – م.ن، ص 82.

إن الخوف كشعور داخلي تماهي في عالم الذات، فصار عذابا وحزنا ويأسا تعاني منه الشخصية، فلم يعد بامكانها أن تتخلص من هذا الشبح الوهمي الذي يؤرقها ويشل حركتها، و يثبط عزيمتها.

"يقال عادة إن الخوف يحرك غرائز الإنسان البدائية للمقاومة"[190]

" الحقيقة تختفي وراء عتمة الخوف وتضمحل شيئا فشيئا وهي تدفع إلى الأمام الزيف والفساد والمنكر"[191]

لقد اختفت الحقيقة وغارت في متاهات الخوف والرعب، ليحل محلها الزيف، والفساد والمنكر الذي أسكت صراخات الشخصية وأخمد أنفاسها، حيث أصبح الخوف ساكنا في أعماق الذات الجزائرية ولا مناجاة منه، إذ ترك على الشخصية آثار الحزن واليأس والكآبة.

" و لا أخفي شيئا من الخوف وقد سكنني فجأة وأنا أسأله بارتباك واضح:

خير إنشا الله

لا خير ما تخافش بارك نتلقاو غدو ونحكيلك"[192]

من خلال هذا الحوار يبدو أن الخوف قد أصبح يحيط بالشخصية من كل جانب، حتى تمكن من الاستقرار في نفسها.

وهكذا استطاع الروائي أن يبين لنا " ما يدور بداخلها من أفكار وتصوير انفعالاتها "[193]؛ هذه انفعالات التي تخالج الذات فتظهر على شكل خوف يمزق فؤاد الشخصية و يعكر عليها صفو حياتها.

" كما لم يكن صوابا ما خالجني من خوف فلم أكن بأي حال مجرما حتى أرتعب من الشرطة"[194]

---

[190] – بخور السراب،ع، س، ص 103.

[191] – م.ن، ص 103.

[192] – بخور السراب، ع، س، ص 128.

[193] – عثمان موافي، في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي، ط2، 1999م، ص125

[194] – بخور السراب، ع.س. ص 130.

" صورة القتل الذي لحقنا عبر مسار الذاكرة اللعينة التي مجدناها حتى الموت"[195]

لقد اختلط مفهوم الخوف عند الشخصية فأصبح غائما غير واضح المعالم، فلم تعد تدري ممن هي خائفة، ولم تستطع تحديد مصدر هذا الخوف، أهو الخوف من الإشتباه فيها؟ أم الخوف من الدموين؟ أم الخوف من الخوف نفسه؟

"الرعب هذه هي العبارة التي كنت أسمعها من الجميع عندما يصل الحديث إلى موضوع المتدينين، ربما لأنهم يظهرون كالخطر الأول المحدق بالديمقراطية"[196]

" فلم نعد ندري من أي مكان نأتي الطعنة القاتلة، كانت توهمات الموت أقوى من وقائعيته، فالخوف يصنع الموت ويحدثه كما لو انه أمر واقع. سيحدث لا محالة"[197]

" أصنع من الخوف طريقا مفتوحا لتلذذ الحياة فكل شيء يصبح ذا طعم خاص"[198]

إن الشخصية في رواية " بخور السراب" تعيش على وشك النهاية، تنتظر الموت في أي لحظة يباغتها، تتوهمه كما أنه أمر واقع لا محالة.

" كنت أحاول تجريد العنف الذي يحدث ويفقد الأشياء معناها لتحويل كل شيء إلى عبارات"[199]

لقد حاول الروائي أن يعطينا صورة عن عالم محطم؛ عالم تنهار بداخله الذوات، وتجلى ذلك من خلال الشخصيات التي تعيش فيه والتي فقدت طعم الحياة ومعناها نتيجة الخوف والرعب الذي يسكنها.

" فلم تعد الكتابة إلا صياغة لعالم منهار تنهار فيه الذوات تحت وقع المآتم المتكاثرة، كانت نزعة التوحش قد برزت للعيان في العناصر التي تشرب الدم، وهي تصرخ معلنة نهاية العالم"[200]

---

[195] – م.ن.، ص.ن.

[196] – م، ن، ص72.

[197] – بخور السراب، ع، س، ص 83.

[198] – م.ن.ص.ن.

[199] – م، ن، ص 84.

[200] –م،ن، ص84.

و لعل الروائي كان صادقا في تصوير العالم الداخلي لشخصياته من خلال تطرقه إلى ذلك الشبح الذي يهدد حياتها والذي تمثل في: الخوف، الدم، الموت، ثلاثة أشياء أفقدت الشخصية لذة الوجود والحياة.

" كنت أحس بهذه النهاية من الداخل كشيء قادر على جعلي أتواطأ كجبان مع الصمت والخضوع وعدم فعل أي شيء"[201]

"إن الخوف هو الطريق الأساسي لتعليل ما لا يعلل"[202]

"رأيت دمي يسيل"[203]

وهكذا حاول الروائي أن يصوّر بطريقة فنية مدى الخوف والرعب التي تعيشه شخصيات حيث جعل منها" نموذجا لشريحة اجتماعية واقعية" في مجتمع يعاني[204] من ويلات الإرهاب ويعيش مجازر دموية.

"عندما أشرب ماء، أقول هذه آخر قطرة ماء في حياتي، عندما أشم رائحة الوردة أقول هذه آخر لحظة أشم فيها وردة جميلة، أو أقرأ كتابا، ينتابني دائما نفس الشعور"[205]

"الموت الحقير الذي لا يرحم"[206]

لقد حاولت الشخصية بكل قوة أن تتخلص من تلك المآسي وتلك الأوهام التي تطاردها، غير أنها بدت في آخر المطاف شخصية خائبة، مستسلمة، خاضعة لظروف معيشتها، تسير بلا هدف نتيجة فشلها في كلّ مساعيها.

"تعلمت، تعذبت، أحببت، كرهت، قاومت، خنت تقت للطيران، أكثر من مرة وفي كلّ فرصة سقطت"[207].

---

[201] – م، ن،ص84.

[202] – بخور السراب، ع، س، ص103.

[203] –م، ن، ص156.

[204] – د. محمد داود، الرواية الجديدة بفرنسا، ع، س، ص 64.

[205] – بخور السراب، ع.س.ص 83.

[206] – م،ن، ص 10.

[207] – م، ن، ص 11.

إن أحلام الشخصية وطموحاتها قد تلاشت كلية، لتأثير المجتمع عليها بما يحمله من آلام وأحزان ومآس وهموم لتنتهي حياتها نهاية مأساوية ولسان حالها يقول:

" تسقط الأحلام أيضا من ذلك العلو الافتراضي"[208]

الدم يسيل

عيناي تقطران بالدم

روحي تبكي دما

نفسي تموت

نفسي تغيب"[209]

إن تركيز الروائي على لفظة " الدم" وتكراره لها لم يكن عبثا، وإنما جاء به ليدل على تلك الفاجعة التي حلت بالبلاد، وتلك النهاية المأسوية للشخصية التي تمثلت في الموت المحتوم وقد اختار الروائي لذلك الصفحات الأخيرة لتكون نهاية الرواية موافقة لنهاية و موت الشخصية.

أما الآهات التي كانت تلفظها الشخصية فإنها تدل على الوجع والاضطراب الذي يوخزها في أعماقها نتيجة لما حدث لها من قبل الدمويين الذين صنعوا من الخوف والرعب صرحا لتحقيق أمالهم وأمانيهم.

" آه آه آه آه آه ...

تركها بين الحياة والموت

آه آه آه آه آه ..."[210]

---

208 – م.ن، ص 12.

209 – بخور السراب، ع، س، ص 107.

210 – م،ن، ص 155.

لقد جعل الروائي هذه الآهات بمثابة الإعلان الرسمي عن موت هذه الشخصية التي عانت كثيرا من ويلات الإرهاب وهمجيته، حيث حاول من خلال ذلك أن يصور لنا الجريمة التي عاشها الوطن لنعيش مع هذه الشخصية حزنها و مآسيها.

و مما يمكن ملاحظته أن السارد أولى اهتماما كبيرا لشخصية " ميعاد"؛ هذه الشخصية التي لعبت دورا بارزا مقارنة ببقية الشخصيات " فالشخصية تكون ذات معنى في نظر تودوروف Todorov " إذا كانت لها وظيفة"[211]، وشخصية "ميعاد" في هذا النص السردي مثلت الجزائر في مرحلة في أمنها واستقرارها وكذلك في مرحلة خوفها واضطرابها، و قد عانت هذه

الشخصية أكثر من غيرها من الشخصيات في هذه الرواية حيث تدرج الروائي في وصف معاناتها حتى وصل إلى غاية مقتلها.

"ميعاد متمددة على السرير بين الحياة و الموت"[212]

و لتأكيد ما قيل نأتي بجدول نوضح من خلاله نسبة الخوف عند الشخصية.

عدد الصفحات الكلية	عدد الصفحات الممثلة للخوف	النسبة
156	73	% 48.79

جدول يبين نسبة الخوف عند الشخصية في رواية بخور السراب.

نلاحظ من خلال الجدول أن نسبة الخوف تمثل 48.79 % من النسبة الكلية، حيث هيمنت على حوالي 73 صفحة من مجموع صفحات الرواية البالغ 156 صفحة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن رواية "بخور السراب" قد تناولت موضوع "المحنة في الجزائر كموضوع رئيسي بالنسبة لبقية الموضوعات الأخرى، أو بالأحرى بقية الاحداث التي ساهمت في بناء الرواية؛ إذ حاول الروائي أن يصور لنا تلك الأحداث المؤلمة والمآسي المرعبة التي عاشها الوطن في مرحلة التسعينات، وانعكس ذلك كلّه على

[211] – د. يمني العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، (بيروت: دار الفارابي، ط2، 1999م) ص 53.

[212] – بخور السراب، ع، س، ص155.

الشخصيات، فبدا بناؤها النفسي مهزوزا، مضطربا غير متماسك، أما على مستوى البنـــاء الخارجي فإنها تبدو شاحبة الملامح، تحيط بوجهها كآبة سوداء توحي بما تعيشه.

وهكذا نستنتج أن رواية "بخور السراب" قد جسّدت ما عاشته الجزائر في المرحلة الأخيرة (مرحلة التسعينات) من إضطرابات وخوف وعنف وهمجية وقتل وإرهاب، وكل ذلك بدا جليا من خلال شخصيات الرواية التي عايشت الحدث وذلك بمحاولـــة الروائـــي "الكشف عن الأفكار والأحاسيس التي تحرك الشخصية"[213] والتي كان الخوف والرعـــب من أساسياتها.

"كانت حياتي تدخل مرحلة جديدة من الانغلاق علـــى الـــنفس والتواطـــؤ مـــع الصـــمت والخضوع للخوف، ذلك الذي صار يطرق باب أي أحد دون استئذان منه.. الخوف مـــن القنابل المتفجرة، الخوف من حالة الحصار، الخوف من الاشـــتباه فيـــك، الخـــوف مـــن الاعتقالات، الخوف من المداهمات المستمرة على البيوت بحق وبغير حق، الخوف مـــن الخوف نفسه"[214].

إنه الخوف الذي أصبح يسكن خلايا الشخصية والذي نتج عنه إضـــطراب نفســـي وقلق داخلي، فتاهت في نفسها الأفكار والمفاهيم، فوجدت الهروب من الواقـــع خلاصـــا وملاذا لها.

"ما وراء هذا الهروب؟ من خنت؟ من قتلت؟ من جرحت مشاعره وتأتي هنا لتطفئ صداع ضميرك؟"[215].

"هربت دون أن ادري إلى أين هربت؟"[216]

وهكذا لجأت الشخصية إلى شرب الخمر لتتطهر من صخب الذنوب التي ارتكبتها بعدما أحست بوخز الضمير يؤرقها ويعكر عليها صفو حياتها، وذلك نتيجة القتل والتدمير وارتكاب المجازر الدموية والظلم، و لا أدل على ذلك من شخصية السارد الذي خان جدته

---

213 – د. محمد داود، الرواية الجديدة بفرنسا 1950–1970، ع، س، ص 225.

214 – بخور السراب، ع، س، ص 81.

215 – م، ن، ص 86.

216 –م، ن، ص21.

العجوز في تلك الفتاة التي كانت تأويها في بيتها، و خيانته للعجوز هي خيانة للوطن الأم، أما شرب "الخمر" فإنه يحمل دلالة الهروب من الواقع الأليم الـــذي تحـــاول الشخصـــية التخلص منه، وذلك بتغيب عقلها.

"الشرب من فضلك، هات ويسكي لأحرق مصارين جسدي لأقطع أليـــاف قلبـــي لأمـــزق خيوط ذاكرتي"[217]

إنه الندم الذي يمزق الشخصية من الداخل، بعدما أحست بالذنب يعذبها، و يزيد في أزماتها النفسية، إذ أصبحت هذه الشخصية "ألعوبة بيد القدر الغاشم"[218]،حيث فقدت الأمل في حياة سعيدة هنيئة، فأصبحت يائسة، خائبة بسبب الظروف التي تعيشها البلاد.

"من المذنب، وما هو الذنب؟ وبأي جريمة قتلت هذه النفوس؟ وعلـــى عتبـــة أي شـــاطئ وبقدرة أي قادر؟"[219]

وهكذا استطاع الروائي أن يصور لنا هذه المعاناة التي بلغت مداها عند تلك "الشـــخوص التي يعد بها الخوف والقلق"[220] تصويرا فنيا رائعا حيث أمكننا ذلك من الإطـــلاع علـــى الجانب الباطني للشخصية، والذي تمثل في تلـــك الانفعـــالات الوجدانيـــة مـــن خـــوف وإضطراب وتوتر وقلق وإحباط نفسي.

4-ثقافة الشخصية: إن المقصود بثقافة الشخصية هو مدى ما حصلته من علم وتعلم، فقد تكون على قدر كبير من العلم والثقافة وقد تكون دون ذلك، فهنـــاك الشخصـــية المثقفـــة والمتعلمة وهناك الشخصية الأمية والجاهلة، فالثقافة "نتـــاج رقـــي المجتمـــع وعصـــارة حضارته وخلاصة مثله وقيمه ومحك تقدمه وتخلفه"[221] وهي تدفع بعجلة التطور والنمو إلى الأمام.

---

[217] –م، ن ، ص 86.

[218] – د. محبة حاج معتوق، أثر الرواية الواقعية العربية في الرواية الغربية، ع، س، ص 120.

[219] – د. نبيلة إبراهيم، فن القص بين النظرية والتطبيق، ع، س، ص 134.

[220] – عبد الله خمار، تقنيات الدراسة في الرواية– الشخصية ع، س، ص 24.

[221] – م،ن، ص، ن.

و مما نلاحظه أن بعض الشخصيات في رواية "بخور السراب" على قدر كبير من العلم والثقافة حيث "إن الشخصيات "الثقافية" تقدم لنا صورا واقعية وتاريخية عن "المثقف" العربي الحديث وهو يعيش التمزق الداخلي"[222] في عالمة المتناقض المليء بالأحداث المؤلمة والوقائع المأساوية.

وقد ركز الروائي اهتمامه على هذه الفئة في المجتمع ليدل بذلك على أنها أول فئة استهدفت من قبل الدمويين، حيث جعل من شخصيات روايته الصحافي، والمحامي، والأستاذ الجامعي، وخص بالذكر الصحافة باعتبارها الشريحة الأولى التي دفعت الثمن الباهض حتى أن "الطاهر سمين أحد الصحافيين المدافعين عن حقوق الإنسان الذي فقدته زوجته ورفعت شكوى إلى المحامي لتتأكد إن كان حيا أم ميتا. إلتحق بصفوف الدمويين لمحاربة إخوانه والتنكيل بهم.

"كان زوجها يعمل في الصحافة ونشط في مجال حقوق الإنسان الطاهر سمين هذا هو اسمه"[223].

"قل لزوجة الطاهر سمين أن تفقد الأمل و أن تمارس الحداد، لا أظن انه سيتركونه حيا..لا أظن.."[224]

لقد كان "الطاهر سمين" يعمل في الصحافة كمدافع عن حقوق الإنسان، وبعد أيام من اختفائه وفشل زوجته في العثور عليه، ينزل عليها خبر كالصاعقة مؤداه أن زوجها قد أصبح إرهابيا في صفوف الدمويين، وتزداد الأحداث تعقيدا بعد ذبحه "لزوجته" "ميعاد" انتقاما لشرفه، وقد حاول الروائي أن يدين هذه الشريحة التي لا تفرق بين الحق و الباطل ولا بين الظالم و المظلوم، وهذا ما أكده المقطع السردي الآتي:

"إذ كيف يتحول صحفي إلى سفاح؟ مجرم حرب؟ قاتل نساء؟ كيف يمكن لميعاد أن تنخدع في شخص كهذا؟"[225]

---

222 – الثقافة، ع، س، ص 142.

223 – بخور السراب، ع، س، ص 82.

224 – بخور السراب، ع، س، ص 90.

225 – م، ن، ص 141.

لقد انخدعت "ميعاد" في أقرب الناس إليها، وتصوير الروائي لهذه الشخصية (ميعاد) هو تصوير للجزائر وانخداعها في أبنائها، إذ كثيرا ما امتزجت ملامح شخصية "ميعاد" بالوطن "فصورة المرأة تلتقي بصورة الوطن المكان الرحم أو المكان الأليف الذي يتميز بتلك الجاذبية التي يتميز بها الجسد الأنثوي"[226].

حيث أصبحت الجزائر تعيش أزمة خانقة في الفترة الأخيرة التي ميزتها ظاهرة الإرهاب و المجازر الدموية.

"تبدو الجزائر كقطعة مسلوخة من لحمها، شواء رمادي، لا يظهر على سطحها إلا حرائق الوجع، و ألسنة الرماد المتصاعدة روائح الدخان التي تزكم الأنفاس، أصوات تتأوه بوجع وفجور، أنوار مدينة تنطفيء، تحترق هي الأخرى في عرس الدم الراعف"[227].

إن الأوجاع والتأوهات والرماد والدخان والدماء كلها علامات تدل على الدمار والخراب والتوحش والموت الذي تصنعه العناصر الدموية التي أفسدت الحياة و أفقدتها معناها و أطفأت شعاعها و أعطتها معنى لا يليق ببهجتها و زخرفها.

ولعل الروائي حاول من خلال هذا كله أن يصور لنا ما يختلج في نفوس هذه الشخصيات المثقفة من هموم وآلام "وما يدور في داخلها من أفكار وتأملات وآمال وأحزان"[228] ولا زال الروائي يواصل حديثه عن الصحافة، ويتبين ذلك من خلال الحوار الذي دار بينه وبين سعاد "آكلي"؛ تلك الفتاة التي تعمل في وكالة الأنباء الإيطالية.

"...لأسألها عن عملها في الصحافة ولماذا لم تفكر في الهرب هي الأخرى؟ وماذا تعمل في خضم هذا التوحش الجماعي؟

أسئلة كثيرة طرحتها عليها، إذ كنت بحاجة لسماع يومياتها، لكنني وجدت معنوياتها مرتفعة وروحها كبيرة فحسدتها على ذلك حسدتها بالفعل"[229].

---

[226] – الآداب واللغات، مجلة يصدرها قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الأغواط، العدد 01 ديسمبر 2004، ص 29.

[227] – بخور السراب، ع، س، ص 25.

[228] – محمد السمرة، في النقد الأدبي، (بيروت: الدار المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1984م)، ص 21.

[229] – بخور السراب، ع، س، ص 117.

قد حاول الروائي أن يأخذ شخصيات روايته من واقع الحياة الاجتماعية والثقافية من خلال "خلقه لعالم اجتماعي يتفاعل مع العالم الاجتماعي المعاش إنه يخلق عالما بواسطة اللغة"[230].

ومن ثم استطاع "بشير مفتي" أن يصور لنا معاناة هذه الفئة المثقفة من شخصيات روايته، وها هو يتحدث عن شخصية "حداد" على لسان الراوي؛ هذه الشخصية المثقفة التي انتهت حياتها على أيدي الدمويين، إنه روائي وأستاذ جامعي يعمل بجامعة قسنطينة، ومن خلال هذه الشخصية يشير الروائي إلى شخصية "مالك حداد"[*] والتي تحمل دلالة كل متعلم مثقف "وحداد" هذه الشخصية التي تتحدى الموت، فبالرغم من كثرة الأقاويل والإشاعات حوله، إلا أنه لا يزال صامدا، يواصل عمله بكل قوة ونشاط.

وها هو يصرح بقوله من خلال رسالة بعث بها إلى صديقه الروائي:

"لست خائفا، صدقني و لو كان هناك شيء يخيفني بالفعل فليس أن أقتل تتساوى الحياة و الموت برأسي و لكن القلق يأتي من سوء الفهم"[231]

"إنهم يحبكون قصصا كثيرة ويخيطونها بعناية وفي هذا الوقت الصعب ما أفعل؟"[232].

"لأنهم قد يدبرون لي مقلبا أو جريمة"[233]

"لم أفكر في الهرب بل لن أهرب هذا هو قراري"[234]

إن هذه المقاطع السردية تظهر لنا بشكل جلي أن شخصية "حداد" شخصية مستهدفة من قبل الإرهاب حيث دبرت المكائد ضدها، وأحبكت القصص وأثيرت الأقاويل والإشاعات حولها، هذا الروائي الذي كتب روايته "بخور السراب" والتي كانت عبارة عن

---

230 – سعيد يقطن، انفتاح النص الروائي، ع، س، ص 140.

* – ولا يخفى علينا أن الروائي أحد كتاب الاختلاف الذين أسسوا جائزة مالك حداد.

231 –بخور السراب، ع، س، ص100.

232 – بخور السراب، ع، س، ص 100.

233 – م، ن، ص، ن.

234 –م، ن، ص 101.

وصف لما يحدث في البلد في تلك الأيام غير أنه لم يلبث أن لقي حتفه بعد صدور روايته حيث وجدت صورته على صفحات الجرائد.

"هتفت له أكثر من مرة في اليوم الواحد، إلا انه كما لو أن الأرض انفتحت و إبتلعته، ثم بعد أسبوع من اختفائه كانت صورته على الصفحات الأمامية من كل الجرائد"[235].

من خلال ما سبق يتضح لنا أن يد الإرهاب امتدت إلى الجزائريين دون استثناء، وبدأت بالطبقة المثقفة باعتبارها القلب النابض في البلاد.

"أخبرني شخص يدرس معي بالجامعة، أنه سمع بعض الطلبة يتحدثون عني بشكل أثار مخاوفه علي"[236]

"حداد الذي صارت الكتابة الروائية متنفسه و حقيقته"[237]

كما نجد الروائي يذكر أيضا شخصية "صالح كبير" هذه الشخصية التي كانت تحاول أن تنشر الثقافة بين صفوف الجميع فهو الذي أسس مكتبة لصالح القراء والمثقفين.

"كانت شخصية صالح كبير مثيرة دون شك فهو الذي كان يزرع هذه الروح الثقافية في صفوف الجميع"[238]

"فلقد عرفت أنه أكمل دراسته بجامعة باب الزوار، وأن دراسته العلمية كانت في "الرياضيات" وأن شخصه الثقافي يعود لشيء توطد فيه منذ الصغر وكبر على حبه"[239]

وشخصية "صالح كبير" لها وزنها في هذا البلد، فقد كان أبواه مثقفين، فأمه كانت تعمل رسامة، وأبوه كان يعمل خبيرا قانونيا في الشؤون الاقتصادية.

---

235 – م،ن، ص102.

236 – م، ن، ص 101.

237 –م، ن، ص65.

238 – بخور السراب، ع، س، ص 55.

239 – م، ن، ص، ن.

"فأمه لم تكن غير الرسامة الكبيرة سامية، ووالده الخبير القانوني في الشؤون الاقتصـــادية بالأمم المتحدة قداري كبير، كان من عائلة مغتنية، مثقفة"[240].

"فلا تزال صورته في تلك الفترات مرتبطة بحبه للثقافة و مساعدته للمثقفين فـــي خلـــق مشهد ثقافي يسمح للمواهب الإبداعية كي تتبلور و تنفجر قرائحها، إن لم يكن الآن ففـــي الغد حتما.."[241]

ونعرج كذلك على شخصية "ابن عم الراوي" الذي لم يصرح الروائي باسمه في هذا النص السردي، هذه الشخصية التي تقطن في إحدى "القرى" بعيدا عن المدينة، "قرية المعزوزية" أين توجد قبة الوالي الصالح "الجد معزوز" هذه القبة التي أحرقت من قبل الدمويين، حيث نجد الراوي يجدد العزم لزيارة قبر جده المعزوز الذي رآه في المنام وطلب منه أن يتبعه وكانت تبدو على الشيخ ملامح القلق والغضب واستجابة للحلم الذي عاشـــته الشخصـــية قررت الذهاب إلى "القبة" فبعد فقدان الأمل في عودة الأمن والاستقرار. هاهو السارد يشد الرحيل إلى قرية أجداده، إنها الموطن الأصلي للتمسك بالتراث و الأصالة، كما أنها تحمل دلالة الاعتقاد الديني للشخصية، فقد كانت تعتقد اعتقادا مطلقا في هذه الأضـــرحة لـــذلك لجأت إلى التبرك بها وأملا في تحقيق مساعيها وأحلامها، فعودة السلم والأمن في نظـــر الشخصية مقرونا بالتقرب من هذه الأضرحة والارتماء في أحضانها.

وهكذا فإنه من الاستحالة بمكان فصل الشخصية عن الحدث المعتقداتي أو البنية المعتقداتية ذلك أن "الدافع الذي يفضي إلى وقوع تحت سلطان هذه البنية إنما هو التطلع إلى التخلص إما من القهر من جهة أو اكتساب المال من جهة أخرى"[242].

"لماذا تأخذ عندك العملية كل هذه الأهمية؟ لماذا تريد تعريض نفسك للخطر من أجل قبـــة حجرية لا معنى لها.."[243]

---

[240] –م،ن، ص54

[241] –م، ن، ص70–71.

[242] – د. عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي ، ع، س، ص 94.

[243] –بخور السراب، ع، س، ص146.

إن الشخصية تؤمن إيمانا مطلقا ببركة الأولياء الصالحين، وذلك باللجوء إلى زيارة أضرحتهم تخفيفا للهم والحزن الذي تعيش فيه "فالقبة" هي التي تحميها من قبل الدمويين.

و لذلك جددت العزم إلى هناك أين يوجد "ابن العم" الذي كان يعمل أستاذا في تلك القرية وهو مثقف بالثقافة الفرنسية، وهذا ما أكده التصريح الذي جاء على لسانه: "معك حق لقد خربت الثقافة الغربية عقلي، جعلتني أؤمن بالإنسان... الذي هو سيد نفسه، أنا أدرس الفرنسية، الجميع ينعتني في هذه القرية بالرومي"[244].

كما نجد الراوي يتحدث عن ثقافة "سعاد آكلي" "ثم إنني خريجة معهد الترجمة و هذا لوحده كافي لمساعدتي على تحقيق ما أريد.."[245]

و بالرغم من المستوى الثقافي لهذه الشخصيات إلا أنها تعيش أزمات نفسية وتوترات داخلية حاول الروائي تصويرها عن طريق الحوار أو وصف الجانب الداخلي لهذه الشخصية وحتى بعض الملامح الخارجية، ولكن هل استطاع الروائي الوصول إلى العمق النفسي لشخصياته؟

إن وصف الروائي لأعماق شخصياته لم يكن بصورة عميقة، وإنما كان وصفا سطحيا للعالم الداخلي لهذه الشخصية، دون الولوج إلى العالم الباطني ومعرفة مكنوناته و مكبوتاته، وسبر أغواره واكتناه أسراره، اكتفى بالتعرف على ذلك من خلال الوقائع والصدمات

الخارجية على الجانب الداخلي، فالصورة الكاملة عن ملامح شخصيات الرواية تستدعي علامات داخلية و خارجية لصيقة بالشخصية[1] وهكذا يتضح لنا من خلال ما سبق أن عالم الحياة النفسية للشخصية عالم متهافت يخيم عليه الحزن واليأس، ويطبعه الهم والقلق والتوتر وفقدان الأمل، فهي مصابة بإحباط نفسي، نتيجة لما يحدث في واقعها، تشعر بثقل

---

[244] – م، ن، ص 146.

[245] –م، ن، ص.75

[1]– برنار فاليت، الرواية، (مدخل إلى المناهج و التقنيات المعاصرة للتخليل الأدبي، تر : عبد الحميد بورايو) (الجزائر : دار الحكمة. د. ط 2002م) ص 42.

الزمن "في نوبات الحزن البطيئة"[246]، فتلجأ إلى إجترار الماضي أو تقفز نحو المستقبل و مع ذلك تبقى جاهلة لمصيرها.

"أحس بأنها تتملكني هي لأخرى و ترميني إلى المستقبل و لكن في ظلام كبير و حزن أسود.."[247]

و ما يمكن ملاحظته أن البناء الداخلي منسجم مع البناء الخارجي، فالملامح الخارجية تمتاز بالإرهاق والتعب والبناء الداخلي يميزه الحزن واليأس و الكآبة.

وقد أثبتت "نتالي صاروت" "Nathalie Srrautte" تعدد الأعماق النفسية للشخصية، فلا يمكن بأية حال من الأحوال تصور عمق نفسي وحيد للشخصية، فقد تكون الشخصية الواحدة تحمل طبائع وصفات كثيرة "فالشخصية قد تمتلك كل هذه الصفات في آن واحد" كما يرى "جون كيرول"[248].

وتجدر الإشارة إلى أن "نتالي صاروت" قد قدمت تحليلا نفسيا عميقا لشخصيات رواياتها، ولم تغفل دور التحليل النفسي التقليدي، بالرغم من عدم فعاليته –على حد تعبيرها–.

ويبقى التحليل النفسي بمثابة النافذة التي نطل منها على الحياة النفسية (الشعور – اللاشعور) للشخصية، و ذلك بتتبع التغيرات التي تطرأ على هذا العالم الخفي والذي يحاول أن يساير التغيرات والتطورات الخارجية التي يعيشها الإنسان (الشخصية).

---

[2] – سمير الحاج شاهين، لحظة الأبدية، دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980م، ص .05

[3] –بخور السراب، ع، س، ص.61

[4] – د.محمد داود، الرواية الفرنسية، ع، س، ص 50.

الفصل الثالث

إشكالية التواجد بين الشخصية ومحيطـــها

1-علاقة الشخصية بالحدث :

إن علاقة الشخصية بالحدث علاقة تكامل و تلازم، فكل عنصر يكمل الآخـــــــر، ذلك أن الشخصية بدون حدث شخصية باهتة ميتة، و الحدث بدون شخصية حدث جامد لا يمكن تصور وقوعه، يقول الروائي الأمريكي "هنري جيمس""Henry James":"إن الشخصية ليست سوى التجسيد الحي للحدث، بينما الحدث ليس سوى الشخصية و هي تتحرك و تحيا"[249]

و لعل الشخصية والحدث وجهان لعملة واحدة بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فـــ:"الشخصية الروائية هي الصانع الرئيسي للحدث"[250] و الحدث هو الذي يجعل الشخصية تعمل و تتحرك"و لا يجوز الفصل بينها و بين الحدث لأن الشخصية هي التي تقوم بهذه الأحداث"[251]

و بدون هذه الشخصية لا يمكن وقوع الحدث، فهي التي تجسده علـــــى أرض الواقـــع، و هي التي تؤديه و تبعث فيه الحركة و التطور، و الحدث الذي يصدر عن الشخصية قد يكون حسيا و قد يكون مجردا و هو"ما يقع داخل الشخصية أو ما يصدر عنها من تصرفات يمكـــن أن تكون سلوكية ملموسة أو فكرية مجردة"[252].

إن الحدث أو الوظيفة لا يمكن تصوره في حالة غياب الشخصية، و الوظيفة حسب "بروب""هي فعل تقوم به شخصية ما من زاوية دلالته داخل سير الحبكة"[253]، و لتأكيد ما قيل نأتي بمقاطع سردية من "رواية بخور السراب"تثبت ذلك:

"أفكر بجدية في ترك الجامعة، فحسب ما سمعت لقد حلل دمي وإن كل تلك الشائعات بصددي" لم تكن إلا البداية لإعطاء شرعية لمقتلي" [6]

---

[249]-د. نبيل راغب، فنون الأدب العالمي(لونجمان: الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1-1996م)، ص175.

[250]- سليمان حسين، مضمرات النص و الخطاب،ع.ي، ص348.

[251]- شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، ع، س، ص32.

[252]- د. نبيل راغب، فنن الأدب العالمي، ع، س، ص174.

[253]-سعيد بنكراد، مدخل إلى السيمياء السردية(الجزائر، منشورات الإختلاف، ط1 2003) ص11.

[6] - بخور السراب ، ع، س، ص101.

"تمددت على السرير و حاولت قراءة الكتاب للمرة لا أدري و شعور جارف بأنني أخيرا أفهم قليلا من طلاسمه و أقدر على تفكيك ألغازه"[254]

فـــ"تفكير""حداد" في ترك الجامعة هو حدث ثم من قبل الشخصية، و لو لا هذا الفعل الذي قامت به لما ظهر دور الشخصية و أهميتها، و التمدد على السرير و محاولة قراءة الكتاب و فهم طلاسيم اللغز كلها أفعال صدرت عن الشخصية، و جعلتنا نتعرف عليها بصورة واضحة و جلية.

يقول رشاد رشدي"من الخطأ الفصل أو التفرقة بين الشخصية أو بين الحدث، لأن الحدث هو الشخصية، و هي تعمل أو الفاعل و هو يفعل"[255]

"عند هذا الحد توقفت عن الكلام و حاولت أن تغير موضوع النقاش باتجاهي فلم أجد ما أقوله لها غير أن وضعي النفسي سيء للغاية خاصة بعد مقتل حداد"[256]

إن الراوي يسرد أحداثا وقعت "لسعاد آكلي"مع"خالد رضوان"و هي عبارة عن حوار طويل دار بينهما، فالتوقف عن الكلام و محاولة تغيير موضوع النقاش كلها أفعال صـــدرت عن سعاد "آكلي".

"هذه الخواطر ملأتني فجأة بعد قراءة "بخور السراب""لحداد"قرأتها و تسْاءلت عن النقطة الجوهرية التي تقاطع فيها جيلنا، الذي سماه بجيل الذبيحة"[257]

إن الحدث الرئيس في هذه الرواية هو دائما حدث المحنة و الإرهـــاب و الإغتيـــــالات و الخوف والرعب و الدم.

"لقد أحرقوها في الليل و بات الرصاص يلعلع طوال هذه الليلة، سينتقمون من هذه القرية، لقد أيقظت فيهم أعظم الشرور"[258]

---

[254]–بخور السراب ع ، س، ص120.

[255]–شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ع، س، ص32.

[256]–بخور السراب،ع.س،ص110.

[257]–م، ن، ص110.

[258]– م ، ن ، ص99

"لقد بكيت كالجريح و كدت ألطم خدي بالنواح كالندابات.. إنه لشيء مفزع ما يحدث ببلادنا، مفزع للغاية[1]

و لعل الحدث في هذه الرواية لا يخرج عن كونه حدثا يتعلق بالحرق أو إطلاق الرصاص أو القتل أو البكاء و النواح...

وكما نلاحظ أن شخصية الراوي قد استقطبت على الأحداث جميعا فهي "بمثابة الكوكب الذي تنجذب إليه بقية المجرات"[2] و هي شخصية محورية تسرد معظم الأحداث و كثيرا ما تنوب عن غيرها من الشخصيات في تحريك أحداث الرواية.

"ودعتها و قلبي يخشع لوقع صوتها علي، كان ذلك هو الشيء المؤكد عندي، حبها العميـــــق في أجنحة روحي فلا أكاد أتصور نفسي بعيدا عنها"[3]

لقد حاول الروائي من خلال هذا المقطع السردي أن يصور لنا مدى حبه الكبير"لميعاد"التي غادرها متجها نحو القرية فهو يحبها و لا يغيب خيالها عن خاطره، فقد سكن حبها أجنحة روحه، و هو بذلك يحاول أن يصور لنا حبه لوطنه الجزائر التي تعيش أحلك الظروف نتيجة لما يحدث فيها.

و كل هذه الشخصيات "تشارك في بناء أحداث الرواية"[4]لتعطي في الأخير ذلك النسيج الروائي المنسجم و المتماسك تماسكا فنيا، حيث كل العناصر السردية تكمل بعضها بعضا فالشخصية هي المحور الأساسي بالنسبة لبقية عناصر البنية السردية.

و من خلال ما سبق يمكننا طرح السؤال التالي:

فيم تتجلى أهمية الحدث بالنسبة للشخصية و هل بإمكاننا فصل هذا العنصر عن ذاك؟

إن الحدث هو الذي يجعل الشخصية حية تتحرك، تنمو و تتطور، وذلك من خلال تصوير جوانبها، و الكشف عن دواخلها، و توضيح علاقتها بغيرها، "فالأحداث هي التي تصور

---

[1] – بخور السراب ع ، س ، ص 99

[2] – د. محمد الباردي ، انشائية الخطاب في الرواية العبية الحديثة ع ، س ، ص 71

[3] – بخور السراب ع ، س ، ص 149

[4] – جورج سالم ، المغامرة الروائية ، دراسات في الرواية العربية ،(دمشق: منشورات اتحاد الكتاب د. ط 1973 م) ص 69

الشخصية و تكشف عن أبعادها و هي تعمل عملا له معنى كما تكشـــــف عن صراعـــــها مع الشخصيات الأخرى" [1]

ولولا وجود الحدث لبقيت هذه الشخصية صماء، عمياء لا معنى لها، و لهذا فإن الحدث هو الذي يكمل الشخصية، كما أن الشخصية تكمل الحدث، و في حالة غياب أحدهما، يفقد الآخر أهميته و دوره كعنصر من عناصر الخطاب السردي.

و لذلك فإن الحدث أو الوظيفة بمفهوم"بروب""Propp""هي" العنصر الثابت الذي يستخرج من أحداث متماثلة و من القائمين بهذه الأحداث الذين هم أشخاص القصة" [2]

و هكذا يمكننا أن نتوصل إلى أن "قضية الفصل بين الشخصية و الحدث مسألة نظرية فقط، لأن الحدث لا يتجسد إلا من خلال شخصية فاعلة تقوم بهذا "الحدث"، و لا يمكن معرفة سماتها إلا من خلال ما تمارسه من أفعال و مواقف"[3].

و من ثم نستنتج أن الحدث لا يتجسد و لا يتحقق إلا من خلال شخصية تؤدي و تقوم بـــه في النص السردي، و الشخصية لا يظهر دورها و لا يمكننا أن نتعرف على صفاتها و ملامحها إلا من خلال الحدث الذي يسند إليها، و ليس من السهولة بمكان أن نتحـــدث عن الشخصيـــــة في غياب وظيفتها "و لا يجوز الفصل بينها و بين الحدث، لأن الشخصية هي التي تقوم بهذه الأحداث[4].

فوجود الشخصية يستلزم وجود الحدث، و وجود الحدث يتطلب وجود شخصية تؤديه، فالعلاقة بينهما علاقة الروح بالجسد .

---

[1] – د. عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق ، مدخل إلى تحليل النص الأدبي ،ع ، س ، ص 124

[2] – د.سيد إبراهيم، نظرية الرواية(دراسة لمناهج النقد الأدبي)في معالجة فن القصة،(دار قباء،د.ط1998)، ص18.

[3] د.عبد القادر شرشار، الرواية البوليسية، بحث في النظرية و الأصول التاريخية و الخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية، (دمشق: من منشورات إتحاد الكتاب العرب،د.ط2003)، ص135-136.

[4] – شربيط أحمد شربيط، تطور البيئة الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ع.س، ص32.

و قد صنف النقاد الشخصية و أوجدوا لها أنواعا و أشكالا إستنادا إلى الوظيفة التي تؤديها في النص السردي، فهي التي تسند إليها الأدوار في رسم معالم الحـــــدث الروائـــــي و تجسيده على أرض الواقع "كما يجب أن تكون شديدة الإرتباط بالحدث مؤثرة فيه و متأثرة به"[1]

"خطرت على بالي مثل هذه الأفكار و أنا أعيد سرد ما تحدثت به مع سعاد آكلي في أول لقاء مطول جمعنا، بعد أن تغيرت أو ظهر لي أنها نزعت ثوبها القديم و استبدلته بشيء آخر"[2] .

إن عدم وجود أفعال في النص الروائي يعني إنعدام وظيفة الشخصية فالعلاقة بينهما علاقة تكامل و تلازم، والشخصية هي التي تحرك الأحداث وتدفع بها إلى النمو والتطور.

وهذا ما تحقق بالفعل في رواية"بخور السراب"حيث أسند الروائي كل الأحداث و الوقائـــع إلى شخصياته لتؤديها و تقوم بها في هذا النص السردي:

"كنت أستمع إليها بانتباه متحاشيا التعليق قدر الإمكان على كلامها، معربا عن الدين الذي أحمله لها بين طيات قلبي، فتضحك ساخرة مني، و هي لا تكف عن الترديد"أي دين يا بنـــي أنـــــا من يشكرك على وفائك لي و بقائك معي"[3]

هذه جملة من الأفعال تقاسمتها شخصية"الراوي"و جدته العجوز"حليمة" و من خلالها استطعنا أن نتعرف على ذلك الإحترام المتبادل بين هاتين الشخصيتين، حيث حـــاول الكاتـــب أن يطور هذه الشخصية بتطور أفعالها و الوظائف التي تؤديها، فهو لا يحدد "ملامحها منـــذ البداية و إنما تنمو شخصياته نموا مطردا بما لا ينافي حركة الواقع و التاريخ"[4]

---

[1] شربيط أحمد شربيط، تطور البيئة الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ع.س، ص35.

[2] بخور السراب ، ع س ص81.

[3] م ، ن ، ص 56.

[4] مخلوف عامر تجارب قصيرة و قضايا كبيرة(مقالات نقدية)، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، د، ط، 1984م)، ص86.

"و منذ سنوات ونحن نحاربهم بقوة و هم يحاربون المجتمع بعنف، و لا أحد يرحم أحدا، إننـــي لا أفكر سياسيا في المسألة[5]

إن الحدث الإرهابي هو الذي يؤرق الشخصية في هذا النص السردي، و يعتبر الحدث الأساسي الذي تتبني حوله بقية الأحداث، فهي أحداث حاولت أن تعكس مرحلة عاشتها الجزائر حيث اختلت موازين القوى، و أثر ذلك سلبا على الذات الجزائرية التي عبرت عنها شخصيات هذه الرواية أصدق تعبير.

"اللعنة على السياسة ..الآن أتفهم موقفك الرافض منذ البداية، المشاركة السياسية بالرغم من أن بداية التسعينيات كادت تجعل كل الجزائريين سياسيين"[260]

"أخبار القتل تصل في كل لحظة، و لا يكاد يمر يوم إلا و يتناهى لسمعي مقتل شخص أو جماعة وحسرة لا نهائية تشلني عن الحركة"[261]

"بقيت حريصا على حريتي، شاعرا بأن ما يحدث سيصيب الجميع بلوثة سوداء وسيلطخ أرضنا بالدم، هل هو الخوف.. خوفي القديم هو مصدر هذه الإحتياطات"[262]

نلاحظ من خلال هذه المقاطع السردية أن الحدث الأساسي يتمثل في الخوف الذي أصبحت تعيشه الشخصية، حيث إنه لا يمكن للشخصية الروائية أن تحمل أي معنى، ما لم تـــؤد وظيفـــة أو تقوم بفعل داخل النص السردي، و هذا ما أثـــبته "تودوروفTodorov " في قوله:"إن المعنى للشيء هو وظيفته"[263]

فالوظيفة هي التي تبث في الشخصية الحركة و تبعث فيها الحياة، و تجعلها تحقق وجودها في الواقع،و لذلك فإن النص الروائي "يفترض أشخاصا يفعلون الأحداث و يختلطون بصـــورهم المروية مع الحياة الواقعية"[264]

---

[5] بخور السراب ع ن س ،ص 55.

[260]– بخور السراب ع ، س ، ص88.

[261]–م، ن، ص87

[262]– م، ن ، ص69.

[263]– يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي،ع.س، ص 125.

[264]–م.ن، ص29.

وهذا ما جسدته رواية"بخور السراب"حيث نجد أحداثا واقعية قامت بها شخصيات واقعية أيضا، فبعضها صور العشرية السوداء و بعضها الآخر تمثل في العلاقـــات الإجتماعيـــة بين الشخصيات.

و هكذا فـــإن الكلام عن مكانة الشخصية داخل العمل السردي يعنـــي بكلمـــة أخـــرى الكـــلام عن شخص يعمل عملا أو يقوم بفعل، فالشخصية لا أهمية لها ما لم تقدم عملا أو تؤدي وظيفة.

"تخيلت في كل مرة أسمع فيها دوي إنفجار سيارة ملغمة أنني كنت في ذلك المكان فلا أنام ليلتها و لا تهدأ نفسي إلا في اليوم الموالي و قد ذهبت لمكتبي و انشغلت بمشاكل الناس التي لا تنتهي حتى في قلب المحن الكبيرة[265].

فهذا المقطع السردي يصور لنا الإنفجارات و الوقائع التي تحدث في كل ليلة، فتجعل النفوس تعيش فزعا و خوفا كبيرين، كما صور من جهة أخرى المشاكل الإجتماعية التي يعاني منها أفراد المجتمع"، فهي مشاكل لا تتوقف و لا تنتهي حتى أثناء المحن و الفتن التي يعيشها المجتمع الجزائري.

"توجهت إلى حانة الأقواس حيث كنت من حين لآخر ألقي بروحي المنهكة على الكونتوار، أسمع لأحاديث المخمورين قبل أن يفقدوا عقولهم و يصعدون إلى فوق"[266]

إن المتأمل لهذا المقطع السردي يجده يصور علاقة الشخصية بواقعها و محيطها الإجتماعي، إذ يرى الراوي أن فقدان العقل يعني التخلص من هذا الواقع الأليـــم، والهـــروب إلى عالم آخر يميزه الصفاء والطمأنينة و الاستقرار و الهدوء و الأمن.

"الشراب هو الوحيد الذي بإمكانه تخثير عقلي"[267]

وهكذا نلاحظ أن العلاقة بين الشخصية و الحدث علاقة و طيدة و متينة بحيث لا يمكننا فصل أي عنصر عن الآخر، فعناصر الخطاب السردي مجتمعة تشكل بنيته السردية، و نسيجه اللغوي.

---

[265]– بخور السراب، ع.س، ص81–82.

[266]– م، ن، ص136

[267]– م.ن، ص 88.

2- العلاقة فيما بين الشخصيات: تتمثل العلاقة بين الشخصيات في تلك الأفعال و الأقوال التي تتبادلها فيما بينها، سواء بالقيام بالفعل أو السرد أو الحوار"فهي التي تسرد لغيرها أو يقع عليها سرد غيرها، و هي بهذا المفهوم أيضا أداة وصف أي أداة للسرد و العرض"[268]، حيـــــث إن الروائي عندما يدخل شخصية جديدة في الحكي لا بد له أن يوضح دورها و يبرز وظيفتها سواء كان ذلك فعلا أو قولا.

و قد تكون هذه العلاقة بين الشخصيات مبنية تارة على التوافق و الإنسجام، و تارة أخرى يسودها سوء التفاهم و عدم التوافق، و ذلك تبعا للمحيط الإجتماعي الذي تعيش فيه هذه الشخصيات، فهي شخصيات يطبعها تارة الإنجذاب و طورا النفور، فرسم الشخصية يتلخص فيما تقوله من كلام أو تفعله من أفعال، و بذلك نستطيع أن نتبين علاقة الشخصيات فيما بينها.

وقد تجسدت هذه العلاقة في رواية "بخور السراب"حيث نلاحظ أن بعض الشخصيات يسودها التفاهم مثل: شخصية"الراوي"و "ميعاد". فالعلاقة بين هاتين الشخصيتين مبنية على أساس الحب و المودة، فقد ظل يهيم بها، ينتظرها الساعات الطوال عند غيابها، فهو متمسك بها متعلق قلبه بحبها،

"أظن بأن لا شيء كان أهم عندي منك و لا أقوى هوسا بغيرك، عمري ما أحببت إمرأة مثلك؟"[269].

و كذلك شخصية"الراوي"و جدته"حليمة"حيث كانت العلاقة بينهما يسودها نوع مـــــن الإحتـــرام و التقدير والتبجيل.

"كنت أحس بسعادة حقيقية أنني بجانبها، فلم تكن لتبخل علي بأي شيء"[270]

"لقد وجدت في بيتها كل ما أطلبه و ما أتمناه و بشكل خاص الراحة التامة فلم تكن تزعجني قط، عرفت حبي للقراءة فكانت تتركني أقضي وقتي ذاك داخل مكتبة زوجها السيد بيار"[271]

---

[268]-د.عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة(دار الغرب للنشر والتوزيع،ط2، د.ت)ص 119.

[269]-بخور السراب، ع س ص 13.

[270]- م، ن، ص 29.

في المقابل هناك بعض الشخصيات التي نلاحظ أن العلاقة فيما بينها متوترة، يسودها سوء التفاهم وعدم التوافق مثل العلاقة بين السارد و والده حيث كانت العلاقة بينهما سيئة للغاية لدرجة هروب الولد من بيت والده.

"هربت من البيت في الصباح و لم يكن ليدور بخلدي أنني سأعثر على مكان لأعيش فيه"[272].

"نتصور دائما أننا لا نحب آباءنا عند ما نهرب منهم"[273]

إن العلاقة بين"خالد رضوان" و "والراوي"يسودها سوء التفاهم و عدم التوافق، و ذلك ناتج عن عدم إيمان الشخصيتن بفكرة واحدة، فالأول ديمقراطي و الثاني برجوازي.

"كان الثوري يظهر فجأة عاجزا عن فهم نفسه و للحظات أرى تفجر دموعه"[274].

هذه أعراض البرجوازيين، الذين يعيشون على عرقنا و دمائنا و ما نكده من جديد..[275].

و العلاقة بين الشخصيات يمكن أن تتحدد من خلال ثلاثة مستويات "المتحـــدَّث عنـــــــــه"، و المتحدِّث و المتحدَّث له"[276]، فالمتحدَّث عنه يمثله ضمير الغائب، المتحدِّث يمثله ضمير المتكلم. و المتحدَّث له يمثله ضمير المخاطب لأن" المتحدِّث يتطلب المتحدَّث"[277]

و قد توفرت هذه الضمائر الثلاث في رواية"بخور السراب"، و لكن الروائي ركز كثيرا على ضمير "المتكلم الذي يمثل شخصية الراوي ليبين لنا أن "الراوي يقص ما يعرفه عن

---

[271]–م، ن، ص، ن

[272]– م ، ن ،ص23.

[273]– م.ن، ص24

[274]–بخور السراب ،ع ، س ، ص 18.

[275]–م ن ص 35.

[276]– د. عبد المالك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ع س ص125

[277]– دليلة مرسلي و آخرون، مدخل إلى السيميولوجيا، تر: عبد الحميد بورايو (ديوان المطبوعات الجامعية، ط1–1995م)، ص55.

نفسه، و ما يعرفه عنها فقط"[278] لأن ضمير المتكلم، – كما يرى توما شفسكي–، يجعلنا "نتتبع الحكي من خلال عيني الراوي" [279]

و قد هيمن هذا الضمير على السرد هيمنة مطلقة، فهو الذي "يكون قريبا من الذاتية، ذاتية المؤلف بأحاسيسه، ووجهات نظره"[280] وعواطفه وكافة مشاعره

و قد كانت شخصية "المؤلف" في رواية "بخور السراب"متضمنة في شخصية الـــراوي من خلال الأحداث والوقائع المعيشة، فكل ما عاشه البطـــــــل من مـــآس و أحـــزان و آلام و إحباطات هي –في واقع الأمر– أحداث و وقائع عاشتها شخصية المؤلف و أرادت تجسيدها من خلال هذه الشخصية المتخيلة.

"بهرتني الكتب منذ الصغر، إستولت على كافة حواسي، شملتني من أخمص قدمي إلى ما فوق رأسي"[281].

إن استعمال "ضمير المتكلم"يجعلنا ننظر إلى الموضوع من وجهة نظر الذات، أما ضمير الغائب فهو "بالنسبة للكاتب الوسيلة الأولى للاستيلاء على القارئ بالطريقة التي يريدهـــــا"[282] و قد ا ستعمل هذا الضمير بكثرة في السرد الكلاسيكي الذي لا يترك فرصة للقارئ للتدخـــــل أو التفسير أو الإفصاح عن وجهة نظره، وهذه المقاطع السردية تؤكد ما سبق ذكره:

"هربت من البيت في الصباح و لم يكن ليدور في خلدي أني سأعثر على مكان لأعيش فيه"[283].

"أعرف أنني أحسن الكلام عن الذاكرة"[284]

---

[278]– عبد الله رضوان، البنى السردية، دراسات في القصة الأردنية(من منشورات رابطة الكتاب الأردنيين د.ط د.ت) ، ص18.

[279]– ميشال بيتور، بحوث في الرواية الجديدة ، ع ، س ،ص 68

[280]–عبد الله رضوان ، البنى السردية، ع.س، ص17.

[281]– بخور السراب، ع س ص 20.

[282]– عبد الله رضوان ، البنى السردية ع ، س ، ص18.

[283]–بخور السراب، ع.س، ص23.

[284]–م ، ن ، ص07.

"إختفى"خالد رضوان"أياما بأكملها ثم ظهر"[285].

"وقد كتمت شيئا ظل حبيس نفسها لسنوات طويلة"[286].

"هل تعتقد أن هتلر تأثر حقا نيتشه"[287].

"حداد إطلع للسبورة" [288]

إن الحديث عن الضمائر يسوقنا حتما إلى الحديث عن وجهات النظر في رواية"بخور السراب"، و ذلك من أجل معرفة موقع الراوي من الحكي، حيث اتفق النقـــــاد والباحثـــون على تحديد ثلاثة نماذج تتعلق بهذه العملية السردية:

1-**الرؤية من الخلف:** و فيها يكون الراوي أكثر علما من شخصيات الرواية، فهو العليم بكل شيء في النص السردي.

2- **الرؤية "مع" أو الرؤية "المصاحبة":** و فيها تتساوى معرفة الراوي بمعرفة الشخصيـــة أي"أن الراوي لا يقول إلا ما يعرفه عن هذه الشخصية "[289].

3- **الرؤية من الأمام:** وفي هذه الحالة تكون معرفة الراوي أقل من معرفة الشخصية "حيث نجد الراوي يقول أقل مما تعرفه الشخصية"[290].

و هكذا نستطيع القول: إن هناك"الراوي بضمير المتكلم "أنا" يروي قصته و آخر يروي بالضمير"هو"...كل هذه محددات بارزة. في التعريف على تقنيات الراوي في الأحداث كشخصية حكائية يتماهى كثيرا مع الكاتب"[291].

---

[285]-م.ن، ص62.

[286]-م.ن، ص 27.

[287]-م ، ن ، ص22.

[288]-م، ن، ص 22.

[289]- د. عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ع، س، ص35.

[290]-عبد الحميد المحادين، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمان منيف ،(ط1-1999م)، ص 11.

[291]-عبد الله رضوان، البنى السردية، ع.س، ص16.

و في هذا الصدد نجد "جيرارجنيت"" Gerarad Crenette" يعرف هذه العملية السردية بقوله: "هي المواقف التي تشير إلى موقع السارد أو الذي يتحدث أو يحكي في علاقته بالشخصية"[292].

وقد إعتمدت رواية"بخور السراب"على"الرؤية مع"أو "الرؤية المصاحبة"حيث تساوى السارد مع الشخصية من خلال استخدام ضمير المتكلم، إذ نجده متساوي المعرفة مع شخصياته، و لا يعلم إلا في اللحظة التي تعلم فيها الشخصية حيث كانت هذه الشخصية(الراوي) تمثل البؤرة بالنسبة لبقية الشخصيات الأخرى، فشخصية السارد في رواية"بخور السراب"تمثل الشخصية المركزية، إذ نجد الروائي يسند إليها معظم الأدوار و الوظائف.

و "الرؤية المصاحبة" هي التي يكون فيها السارد و شخصياته في درجة واحدة من العلم والمعرفة بحيث لا أحد منهما يكون أعلم من الآخر، فهما في مستوى واحد من الفهم و المعرفة.

و هكذا نجد السارد في هذه الرواية يقص علينا بعض ما حدث له أثناء مسيرة حياته حيث وضح لنا علاقته بوالده الذي كان يعمل حارسا "للمقبرة"، و بعدها وصف هروبه من بيت هذا "الوالد" القاسي ليلجأ إلى العيش مع جدته.

"يا للوقاحة، لماذا كان عنيفا معي إذن لماذا لا أذكر إلا غلاظته و إذلاله و الساعات القليلة التي كنت أعجب به هي عندما يجلس أمام قبور الموتى ذليلا أمام هذه القوة الغربية التي تنهينـــا من الوجود تماما.."[293]، ثم ينتقل إلى وصف نفسه في بيت جدته "حليمة"التي كانت تقطن في حي معزول.

"لم يكون ليدور في خلدي أنني سأعثر على مكان لأعيش فيه لأفكر في جدتي حليمة التي تعيش لوحدها في المنصورة، بذلك الحي الكئيب الذي لا يؤمه إلا الشواذ و المجرمون كما درج والدي على نعته"[294].

---

[292]–د. محمد داود، الرواية الجديدة بفرنسا، ع س ص 278.

[293]– بخور السراب ع.ي، ص22.

[294]– م ، ن، ص 23.

من خلال حركة شخصية السارد في هذا النص السردي استطعنا أن نكشف أنها شخصية متماهية في شخصية الكاتب إذ"يكون صوتها صوتا للمؤلف ليعبر عن أرائه الشخصية"[295]

و هو ذو علاقة وطيدة بشخصياته حيث نجده يحب شخصية "ميعاد" ويعاملها معاملة طيبة ويمقت أولئك الدمويين الذين صعدوا للجبل من أجل سفك الدماء، و قتل الأرواح، وهو صديق "لحداد" يتبادل معه الرسائل و يناقش "خالد رضوان" في أمور تتعلق بمستقبل البلاد.

"بالفعل أنا لست نبيلا، والدي توفي من أجل هذا البلد"[296]

"حسب علمي لا نزال بلدا إشتراكيا"[297]

و لعل قيام علاقات فيما بين الشخصيات لم يكن بمحض الصدفة، و إنما هناك دوافع وحوافز، تدفع الشخصية و تحفزها لذلك، "ذلك أن الشخصيات في بينها إنما تقوم بذلك بنـــاء على حوافز تدفعها إلى فعل ما تفعل"[298]، فالأسباب و الدوافع هي التي تدفع بالشخصية إلى القيام بالفعل أو إنشاء علاقات فيما بينها.

و قبل أن نتحدث عن التحفيز (motivation) بصورة مفصلة، لابد من إحصاء الشخصيات الموجودة في رواية "بخور السراب"، و تتمثل هذه الشخصيات في: الراوي، ميعاد، خالد، رضوان، سعاد آكلي، الجدة حليمة، صالح كبير، شخصية والد الراوي، و هي شخصيات أسندت إليها وظائف وأدوار أساسية في هذه الرواية.

وهناك بعض الشخصيات لم يكن دورها بارزا بصورة كبيرة في هذا النص السردي مثل: أستاذة الفلسفة، الفتاة منيرة، أم الراوي، ابن العم الذي يقطن في القرية، قدور سارق النعـــاج في الأسواق الأسبوعية، الطاهر ولد الحاج مبارك، حيث إن هذه الشخصيات لا

---

[295]– رجاء عيد، قراءة في أدب نجيب محفوظ،رؤية نقدية (الإسكندرية: منشأة المعارف ، د، ط، د، ت)

ص 130.

[296]– بخور السراب ع،س، ص35.

[297]–م ، ن ، ص 35

[298]–د.يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي،ع، س، ص 52.

فعل لهـــا في الرواية، ولذلك فإنها لم تقم علاقات مع غيرها، و الخطاطة التالية توضح ذلك:

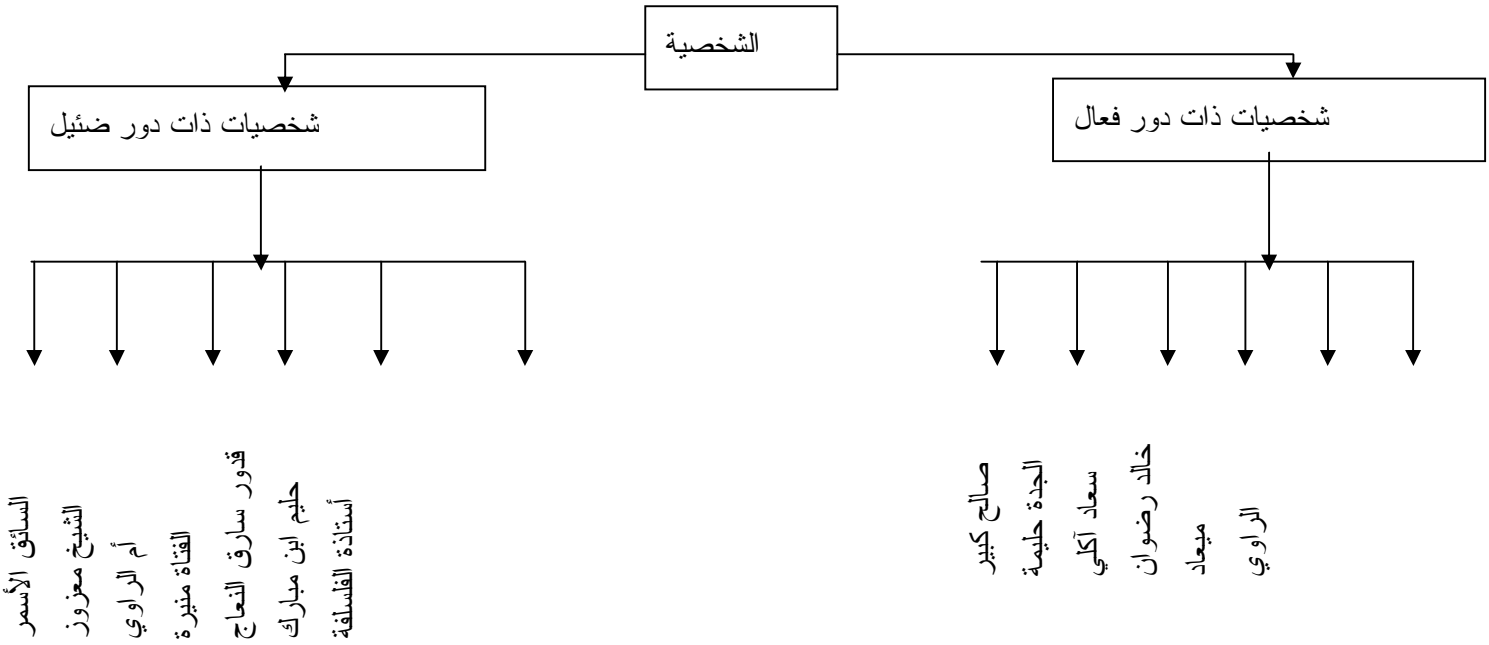

"خطاطة توضح تصنيف الشخصيات من حيث الدور الذي لعبته في رواية بخور السراب"

نلاحظ أن الشخصيات ذات الدور الفعال هي التي استطاعت أن تقيم علاقات مع غيرهـــا و أن تطور الأحداث و نموها قد ساهم في نشأة هذه العلاقة، أما الشخصيات ذات الدور الضئيل فإنها لم تستطيع إنشاء علاقات واضحة و قد نابت عنها غيرها.

و قد أدان الروائي هذه "الفئة (الإرهابيين)حيث ركز على بعض العيوب، حين نعت هؤلاء بأقبح الصفات مثل: شخصية قدور سارق النعاج في الأسواق الأسبوعية والطاهر ولد الحاج الذي يرفض صيام شهر رمضان.

و هكذا فإن العلاقات بين الشخصيات نابعة عن حافز يحفزها لقيام هذه العلاقة أو تلـــك و هذه الحوافز كثيرة و متعددة، و مع ذلك فقد حاول "تدوروف""TODOROV" أن يختزلهـــا في ثلاثة حوافز أساسية تتمثل في:

1-"الرغبة: و شكله الأبرز هو الحب.

2-التواصل: و يجد شكل تحقيقه في الإسرار بمكنونات النفس إلى صديق". [299]

[299]- د. يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي. ع،س. ص52.

3-المشاركة: وتظهر في شكل تقديم مساعدة من قبل الشخصية إلى شخصية أخـــــرى هي في حاجة إلى ذلك.

و قد تجسدت هذه الحوافز الثلاثة في رواية"بخور السراب"حيث نجدها كما يلي.

1- **الراوي يحب ميعاد:** و من ثم نجد أنفسنا أمام حافز إيجابي نشط يتمثل في حافز الرغبـــة في شكله الأبرز المتمثل في الحب.

و يقابله حافز سكوني عند"ميعاد" و هو حافز"الإستقبال" غير أن ميعاد لا تكتفي بهذا الحافز السكوني، بل تبادل الراوي المشاعر نفسها فتعبر بذلك عن حبها الشديد له، و بذلك يظهر إتجاها ثانيا في هذه العلاقة.

2- "**ميعاد**" **تحب** "**الراوي**": في هذه العلاقة الثانية نجد أنفسنا كذلك أمام حافز إيجابي نشط وهو حب ميعاد للراوي يقابله حافز سكوني، وهو حافز الإستقبال عند الراوي (و المقصود بالإستقبال هو وصول الشيء إلى الطرف الثاني بغض النظر عن القبول أو الرفض).

3-**الراوي يكره والده:** نجد أنفسنا أمام حافز سلبي نشط يتمثل في حافز الكراهية الذاهـــــب من الراوي باتجاه والده، و يقابله حافز سكوني عند الوالد و هو حافز الإستقبال.

"وجدتها فرصة لأهرب من البيت، فما بقي لي عيش مع هذا الوالد الجاهل و الأحمق، و الذي يملك كتابا كهذا، و لم يتمكن قط من قراءته [300]"

4- **الراوي يساعد ميعاد:** و الحافز الموجود في هذه العلاقة هو حافز المشاركة الذي تم بين الراوي و ميعاد من أجل العثور على زوجها "الطاهر سمين".

"سأفعل كل ما في وسعي للعثور على زوجك الطاهر[301]"

والشيء نفسه يقال بالنسبة "لصالح كبير" و "سعاد آكلي"حيث نجد:

5- **سعاد آكلي تكره صالح كبير:** و يظهر ذلك من خلال المقطع السردي التالي:

---

[300]- بخور السراب، ع، س، ص21

[301]-بخور السراب ع ، س ، ص150

"كانت تبدو علاقتها بصالح غريبة، و خاصة فيها من الكراهية و التحدي أكـــثر من الحـــــب و الإفتتان"[302].

و من هنا نستنتج أننا أمام حافز سلبي نشط يقابله حافز الإستقبال عند"صالح كبير".

6- **الراوي يسر إلى صديقه "حداد":** و يتضح ذلك من خلال المكيدة التي دبرها الدمويون ضده، و قد أفشى له بهذا السر صديقه "الراوي" من خلال رسالة بعث بها إليه، و الحافز الموجود هو حافز التواصل الذاهب من الراوي إلى صديقه حداد و يقابله حافز سكوني يتمثل في وصول الخبر إلى حداد.

"رسالتك السريعة جعلتني أشعر بالصداقة القوية التي تربطنا، لا تخشى على مصيري، أنا قوي بما أنا عليه، لن أترك الجامعة، لقد قتلوا بما فيه الكفاية من عقول هذا البلد"[303].

إن هذه الحوافز الإيجابية تقابلها ثلاثة حوافز سلبية هي "الكراهية"ضد"الحب"،"الجهر "ضد" التواصل" "الإعاقة" ضد"المشاركة ، و يمكن توضيح ذلك عن طريق الخطاطة التالية:

-الحوافز-

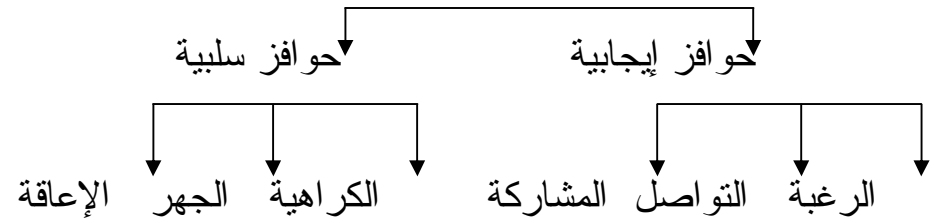

خطاطة توضح الحوافز عند الشخصية من منظور "تودوروف"

نلاحظ أن الحوافز التي دفعت إلى قيام علاقات بين الشخصيات في رواية بخور السراب قد تنوعت بين حوافز إيجابية و أخرى سلبية حسب ما يتطلبه الحدث الذي تقوم به الشخصية في هذا النص السردي.

و لتوضيح هذه العلاقة أكثر بين الشخصيات نعتمد خطاطة "قريماس".

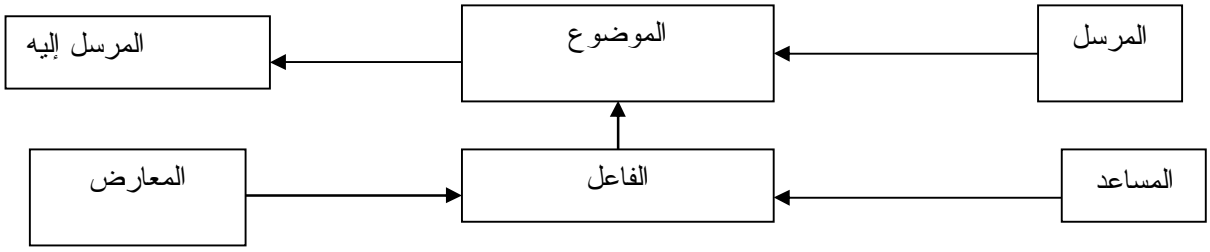

---

[302]-م، ن ، ص63.

[303]-م، ن، ،ص101.

فالمرسل هو "الراوي"و المرسل إليه"ميعاد"و الموضوع"الحب" و المساعد هو "الراوي" و الفاعل هو "ميعاد" و المعارض "الطاهر سمين".

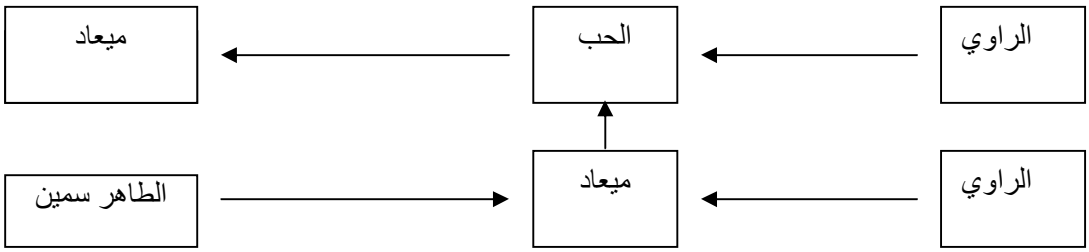

"خطاطة توضح العلاقة بين الشخصيات في رواية بخور السراب"

إن المتأمل لخطاطة "قريماس" يلاحظ أنها توضح العلاقة بين الشخصيات عن طريق تحفيز الشخصية كالرغبة التي تمت بين ميعاد و الراوي –مثلا– والمشاركة بين الراوي وميعاد أيضا، و"الكراهية بين "الطاهر سمين و زوجته(ميعاد).

و مما نلاحظه أن هذه الأفعال قد انقسمت إلى قسمين:"إيجابية كالرغبة و التواصل و المشاركة، أو سلبية كالكراهية و الاتصال و الإعاقة"[304]

و هكذا نستنتج أن العلاقة بين الشخصيات في رواية"بخور السراب"، علاقة متوترة، مبنية على التناقض–في أغلب الأحيان– حيث الخوف و الرعب يؤسس هذه العلاقة بين الشخصيات في النص السردي.

"تكمت على مشاعري الخافقة و أحزاني الملتهبة، متحسسا بموتها صوتا آخر سيأتي، و برحيلها زمنا بعيدا ينتهي و بفقدانها عصرا بأكمله ينمحي.."[305]

"لقد تركها بين الحياة و الموت، ربما ليطيل ألمها حتما، آه انا السبب آه الكلب الحقير"[306]

"الرصاص من خلف، لم أسأل من قتل في تلك اللحظة المضببة من الحياة"[307]

---

[304]– د. مراد عبد الرحمان مبروك، آليات المنهج الشكلي في نقد الرواية الغربية المعاصرة(التحفيز نموذجا تطبيقيا)(دار الوفاء للطباعة و النشر ط1 ، 2002م)ص206.

[305]–بخور السراب ، ع س ص 79

[306]–بخور السراب ع ، س ، ص155

[307]–م، ن، ص19.

إن العلاقة بين جل الشخصيات علاقة تنافر وتناقض، حيث الشخصية تعيش في جـــو من الحزن و الألم جراء واقعها الأليم.

و يظهر ذلك من خلال الحوار الذي دار بين الراوي و زميله "أحمد" في هذا المقطع السردي:

هل أنت حي؟

تعجبت من هذا السؤال الذي فاجأني به فقلت بصعوبة:

كما تراني الآن.

ألم يخطفك الطاهر سمين"[308]

من خلال هذا المقطع السردي يتضح لنا أن الخوف و الرعب يشكل هاجسا لدى الشخصية، فكانت علاقتها ببقية الشخصيات تدور حول ما يحدث في الوطن من خوف و فزع وموت، هذه الأحداث التي شكلت البؤرة في الرواية؛ و الحوار خير شاهد على ذلك، بل جعل شخصيات هذه الرواية تقترب من الواقع، لدرجة أن القارئ "كان يتمثلها شخصا قائما بذاته؛ وأنها نتيجة لذلك كانت تمثل في تصور الكتابات التقليدية الوجه الأمين، أو الوجه الآخر على الأقل للحياة الإجتماعية التي كانت تزعم أنها تستطيع أن تعالج قضاياها بكفاءة و امتياز"[309] إذ استطاع الروائي من خلال ذلك أن يصور لنا الأحداث التي عاشتها الجزائر خلال العشرية السوداء؛ تلك الأحداث التي تمثلت في المآسي و الاغتيالات و الإنفجارات التي عانت منها الشخصية حيث نلاحظ أن معظم الشخصيات تعيش في شيء من الهم و الحزن و لتأكيد ذلك ارتأينا إحصاء الشخصيات في هذا النص السردي.

---

[308]–م، ن ،ص30.

[309]–د.عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية ، ع، س، ص92–93.

				الراوي	ميعاد	**رئيسية**	
حداد	الجدة حليمة	والد الراوي	سعاد آكلي	خالد رضوان	صالح كبير	الطبيب بيار	خيرة العاملة في الحانة
			الطاهر سمين		**معارضة**		
	الفتاة منيرة	أم الراوي	قدور سارق النعاج	أستاذة الفلسفة	السائق الأسمر	مومس الرمشيلي	
	حليم ابن الشيخ	الطاهر ولد الحاج مبارك	ابن عم الراوي	الجد معزوز	لالة سكينة	شاب ذو لهجة بلعباسية	
	أحمد	نسيم	الفتاة مريم	أستاذ الرياضيات	الحاج موحا	حميد الدربوكة	

ثانوية

هامشية

"**جدول يبين تصنيف الشخصيات حسب الأدوار الموكلة إليها في رواية بخور السراب**"

إن ما يلاحظ على هذا الجدول أن الشخصيات الهامشية قد طغت على صفحات الرواية، و هذا يدل على أن الشخصية في رواية بخور السراب قد كانت تعيش على هامش الحياة، حيث إن أغلب الشخصيات تبدو شاردة الذهن، غائمة الوجه، منقسمة التفكير نتيجـــــة لما يحـــــدث في واقعها، علاقتها بغيرها متوترة مضطربة، يميزها النفور و سوء التفاهم.

"توقفت عن الحديث مع خالد رضوان لأيام كثيرة فالأمر أخذ عندي بعدا أكبر و هو عدم الثقة فأن لا تكون بيننا هذه الدرجة من الشفافية في علاقتنا... لا تكون صداقتنا إلا مثل زبد البحر يذهبا جفاءا"[310].

3-**علاقة الشخصية بالحوار:** يعتبر الحوار من أهم العناصر الفنية التي تجعل الشخصية حية تتحرك، و قد يلجأ إليه الروائي من أجل فسح المجال للشخصية كي تعبر

[310]-بخور السراب، ع، س، ص43.

عن نفسها، و تطرح أفكارها و آراءها باللغة التي تناسبها "فالحوار هو وسيلة طبيعية للمناقشة و هو يتطلب وجود شريكين للتحاور"[311] هو الذي يجعلنا نتعرف على أفكار الشخصيات و ثقافتهـــا و أهوائهـــا و إتجاهاتها ما تريد تحقيقه، فقد نكشف عن العالم الداخلي للشخصية من خلال كلامها معاملتها لغيرها.

و قد سمى ميخائيل باختين هذه التقنية "بالتهجين"، "الحوارية"، "تعدد الأصوات" في قوله: "والأجناس المتخللة المدرجة في نص الرواية شعر، أمثال، رسائل، حكم، فهذه الأشكال تسمح بإدخال التعدد اللغوي للشخص لتنوع الملفوظات و المستحضر للخطاب الآخر يفيد في إمتصاص تعبير الكاتب عن نواياه، و جعله تعبيرا مباشرا كما أنه يحول خطاب الرواية إلى خطاب ثنائي"[312]

و ينقسم الحوار إلى قسمين:

1- **الحوار الخارجي:** و يتمثل في الحديث بين شخصيتين أو بين عدة شخصيـــــات للتعبير عن أفكارها و عواطفها و أحاسيسها و طباعها"و يجري الحوار بين شخصية و شخصية أو بين شخصية و شخصيات أخرى داخل العمل الروائي"[313]، و قد تكون لغة الحوار عامية أو فصحى حسب المستوى الفكري والثقافي لشخصيات الرواية.

2- **الحوار الداخلي(المونولوج):** وهو عبارة عن مناجاة الذات لذاتها"و يلجأ الفنان غالبا إلى هذه الوسيلة حين يكون البنيان الداخلي للشخصية هو جل ما يستهدفه من كشف وجلاء في ثنايا العمل الأدبي"[314].

و قد اعتمد الروائي "بشير مفتي" هذه التقنية في نصه السردي نظرا للأهمية التي تلعبهـــا في الإيهام بواقعية الشخصية وتقريبها من ذهن المتلقي، حيث حاول من خلاله(الحوار) أن يكشف عن نفسية الشخصية؛ تلك النفسية المحبطة المحطمة نتيجة للواقع الذي تحيا فيه.

---

[311]- د. محبة الحاج معتوق، أثر الراية الواقعية الغربية على الرواية العربية،ع، س، ص310.

[312]-ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ع، س، ص 235.

[313]-د. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية ، ع، س، ص134.

[314]-غالي شكري، الرواية العربية في رحلة العذاب(دار الهنا للطباعة، ط1-1971)، ص47.

ولتأكيد ما قيل نأخذ مقطعا سرديا من رواية بخور السراب يوضح الحوار الذي جرى بين الشخصيات في هذا النص السردي.

– ها أنا قريب من النهاية.

لم أتفوه بأي حرف كان منظره مثير للشفقة حقا.

عملت دائما بالقرب من الموت لهذا السبب لست خائفا.

والدتك كانت إمرأة رائعة!.

أعرف ذلك"[315]

إن لغة الحوار هي التي جعلتنا نتعرف على هذه الشخصية التي أحست بأجلها بعدما بدأ العجز والضعف يدب في مفاصلها.

كما استطعنا من خلال الحوار أن نطلع على الواقع الذي تحيا فيه هذه الشخصيات و ذلك بـــ"فك أسرار كل شخصية و طرحها على بساط الواقع"[316] و محاولة تصويـــــــر مشاعرهـــــــــــا و أحاسيسها و ما يجيش في داخلها ليتحول ذلك إلى علاقة تربط هذه الشخصية بتلك.

و يعد الحوار إحدى التقنيات السردية التي تجعل الشخصية حية تتحرك، فهو الذي يبث فيها الحركة و يبعث فيها الحياة"و يقوم بخلقها و إكسابها هيكلتها العامة"[317]

وقد تظهر الشخصية فجأة و تنبثق من خلال الحوار مثل: شخصية"ابن العم"الذي لم نتعرف عليه خلال صفحات الرواية إلا بعد الحوار الذي أجراه "الراوي"حول إعادة بناء"قبة" الولي الصالح"جدهم المعزوز".

"لابد من إعادة بناء القبة".

- لماذا تأخذ عندك العملية هذه الأهمية؟ لماذا تريد تعريض نفسك لخطر من أجل قبة حجرية لا معنى لها؟.
- كأنك سعيد بالإرهاب..

---

[315]– بخور السراب، ع.س، ص30.

[316]– شايف عكاشة، مدخل إلى عالم الرواية الجزائرية(قراءة مفتاحية في منهج تطبيق)(الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، د.ط.د.ت)ص123.

[317]– سليمان حسين، مضمرات النص و الخطاب، ع. س، ص341.

- على الإطلاق إنهم وحوش تخرجت من ثقافة متوحشة لم تعظم حرية الإنسان قط[318]

إن الحوار وسيلة من الوسائل تجعلنا نحدد العلاقات فيما بين الشخصيات ونتعرف على مستواها الإجتماعي والثقافي، و هذا المقطع السردي يؤكد ما ذهبنا إليه:

-"تأخرت عليك؟

-أجزم انك تقوم بهذا متعمدا

-لأديم شوقك إلي لا غير

-مجنون

-آه نعم كنت مجنونا بالفعل، مجنونا بهذا الكائن الذي أحب"[319]

إن هذا المقطع السردي يحدد لنا نوعية العلاقة بين "الراوي"و"ميعاد"حيث إنها مبينة على أساس الحب و المودة، فالحوار "من أهم الوسائل التي يعتمدها الكاتب في رسم الشخصيات و إحيائها"[320]

و هكذا يمكننا أن نستنتج أن العلاقات بين الشخصيات في رواية"بخور السراب"كثيرة و متنوعة، فبعض العلاقات يسودها التفاهم و الانسجام و بعضها الآخر يسودها التوتر و الإضطراب.

غير أن الكشف عن علاقات الشخصيات فيما بينها غير كاف لدراستها، لذلك لابد من الكشف عن علاقة هذه الشخصية بيئتها و محيطها و المكان الذي يأويها.

4- علاقة الشخصية بالمكان: إن مفهوم المكان في الدراسات النقدية المعاصرة قد تغير تغييرا جذريا، فأصبح يأخذ دلالات و إيحاءات بعيدة، إذ كثيرا ما يحمل المكان في الرواية المعاصرة ملامح الشخصية و قسماتها فينسجم معها انسجاما كليا.

لذلك فإنه من الاستحالة المطلقة أن نتصور شخصية بدون مكان "إذ لا يمكن للشخصية أن تعيش خارج مكانها فهي ملتصقة به أشد الالتصاق"[321] فهو الذي يحميها و يأويها حر

---

[318] – بخور السراب، ع،س، ص 145-146.

[319] – م ، ن ،ص13.

[320] – د.محبة حاج معتوق، أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية، ع.س، ص39.

[321] – د. محمد البارودي، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، ع.س، ص39.

الصيف و قر الشتاء فالشخصية لابد لها من مكان تعيش و تتحرك فيه، و المكان لا بد له من شخصية تملأه و تبعث فيها الحركة.

و هكذا فإن العلاقة بين الشخصية و المكان علاقة ترابط و تكامل فالمكان في المفهوم السردي المعاصر لا يحمل بعدا موضوعيا و إنما يحمل أبعادا نفسية تعكس الحياة الداخلية للشخصية، و الشخصية تعبر عن الوضع الاجتماعي لمن يتواجدون في ذلك المكان.

ولعل الروائي لا يتعامل مع المكان من حيث إنه فضاء لحياة الشخصيات و حركتها، وإنما يعطيه أبعادا إنسانية تجعل منه كائنا حيا،، فتصبح بذلك العلاقة بين الشخصية والمكان علاقة تبادل و تكامل و انسجام.

و كثيرا ما يحل المكان محل الشخصية فيعبر عن همومها و ألامها و ما تكابـــــــــده من أحزان و مآس "فتغدو هي بمثابة هو، أو هو بمثابة هي"[322]

و هذا ما تجسد في رواية "بخور السراب"إذ نجد الروائي اختار"شخصية"ميعاد لتعبـــر عن الوطن في الفاجعة التي ألمت به، و المحنة التي عاشها في الآونة الأخيرة؛ مرحلة العشرية السوداء.

كما إتخذ الروائي"شخصية العجوز حليمة"رمزا يعبر عن ماضي الجزائر، قبل حلول مرحلة الاغتيالات و الدماء و كذلك شخصية "ميعاد"قد عبرت"الجزائر"أثناء مرحلة أمنها و استقرارها.

-"كنت ساحرة في ذلك اليوم، ووجهك ظل يضيء"[323]

إن سحر"ميعاد"ووجهها الوضاء يمثل سحر الجزائر و إشراقها و سعادتها،غير أن ذلـــــك لم يلبث أن تغير بعد ظهور الأحداث الدموية التي عرفها الوطن فتصبح "ميعاد"كئيبة، حزينة، منهزمة.

"ميعاد لم أشعر بالسعادة و أنا أتذكرها الآن غارقا في لحظة خرساء غير قادر على صنع فجـــوة في جدران اليأس"[324].

---

[322] – د.بشير محمود، نظرية الرواية في النقد الجزائرية الحديث ،(رسالة مخطوطة لنيل شهادة دكتوراه 2003/2002)، ص41.

[323] – بخور السراب، ع.س، ص14.

لقد أصبح تذكر "ميعاد" مجلبة لليأس و الحزن و الهموم بعدما كانت مصدرا للسعادة و الفرح والأمن والهدوء.

و هكذا فإن سعادة الشخصية هي سعادة الوطن و حزنها حزن للوطن، فهما وجهان لعملة واحدة، إذ أصبح المكان يحمل ملامح الشخصية و صفاتها، و يصور تحركاتها.

وعلاوة على ذلك فقد انسجم معها وحل محلها، حيث إن عناصر الخطاب الروائي"تؤلف مجتمعة لحمة العمل السردي و عروته الوثقى التي لا يمكن فك خيوطها"[325]

و لهذا يمكننا الحكم على أن الشخصية و المكان عنصران أساسيان في العملية السرديـــــة، و لا يمكن الفصل بينهما و من"هنا يتحول رمز المرأة إلى المدينة"[326]؛ مدينة"الجزائر"التي تعيش أحداثا دموية، و مجازر بشعة، جعلت منها حقلا خصبا للروائي الجزائري لوصف هذه الوقائع والأحداث و محاولة التعبير عنها.

و من ثم نلاحظ أن الروائي قد تدرج في وصف هذه الشخصية منذ كانت تنعم بالأمـــن و الإستقرار إلى أن أصبحت تعيش في ظروف مؤلمة و قاهرة.

"من قتل ميعاد حقا؟ هو أم أنا؟"[327]

إن قتل"ميعاد يمثل تلك الأحداث المؤلمة التي عاشها الوطن إذ جعلتنا نقاسمه همومـــــه و آلامه "من خلال حركة الشخصيات و تفاعلها معه"[328]، فالتفاعل بين الشخصية و المكان جعل هذا الأخير محملا بدلالات وأبعاد، بعدما كان جامدا منحصرا في رقعة جغرافية معينة"ذلـــــك أن المكان في العمل الإبداعي هو إمتداد للشخصية التي يستمد منها حيويته التي تكسبه الجانب الإيجابي أو السلبي و تدخله ضمن الفضاء الروائي"[329].

---

[324] – رشيد بن يمينة، بواكير الرواية الجزائرية، (دراسة تحليلية في رواية حكاية العشاق في الحب و الإشتياق) (رسالة مخطوطة لنيل شهادة الماجستير2003م)، ص23.

[325]–الآداب و اللغات، ع ، س ، ص23.

[326]– م، ن ، ص130.

[327]– بخور السراب، ع.س، ص154.

[328]– التبيين، العدد 09، الرواية و فعاليات القص قراءة في رواية ليلة القدر، الطاهر جلون، ص42.

[329]– الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الاتصال والثقافة العدد 114،(الخطاب الروائي في ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي من نقد الواقع إلى البحث عن الذات)، ص238.

و لعل المكان في رواية "بخور السراب"قد استمد دلالته ومقوماته من الشخصية، حيث شحن الروائي بطاقات نفسية جعلته ينسجم مع الشخصية متجاوزا بذلك هندسته و جغرافيته ليعطينا"ما يسميه باشلار بـــ"حميمية المكان"الذي يقصد به ذلك الانطباع النفسي الذي تولده علاقة الشخصيات بالمكان، فلولا هذه الحميمة التي يضفيها الخطاب الروائي لبقي المكان مفرغا من كل الأبعاد الدلالية الفنية و الجمالية"[330]

إن "حميمية المكان"–على حد تعبير باشلار– أو علاقته بالشخصية هي التي تعطيه أبعادا دلالية فنية، و لولاها لما أمكننا أن نتعرف على تلك الأبعاد، مثلما هو الحال بالنسبة لظاهرة الطلل في الشعر الجاهلي، التي تغدوا واقعا نفسيا و معاناة شعورية أكثر منها ظاهرة موضوعية، و هذا الكلام ينطبق على دلالة المكان في الخطاب السردي.

و لتأكيد ذلك نأخذ مقطعا سرديا من رواية"بخور السراب":

"حتى يخيل إلي أنها ما غادرت هذا المكان، و ما كان بوسعها أن تغادره روحيا، هي التي صاغته وجوديا و تساكنت معه شعريا فهو هي، و هي هو، المكان هو ذاكرة الإنسان الحيـــــة و المتبقية" [331].

إن الشخصية الروائية قد تماهت في المكان، فحملت دلالته و حمل ملامحها و صفاتها، و هي بتواجدها فيه قد أعطته معناه وصارت جزءا منه. فأصبح من المستحيل الفصل بينهما.

و من خلال ما سبق نلاحظ أن الروائي لم يكتف بشخصية"ميعاد"لتمثيل الجزائر، و إنما جعل الجدة "حليمة"أيضا ترمز إلى ماضي الجزائر المشرق وأصالتها المجذرة.

يقول على لسانها:

"كنت جميلة و جذابة و قاهرة"[332]

إن جمال "الجدة" يمثل جمال الجزائر في مرحلة هدوئها و استقرارها، وقبل الأحداث المؤلمة التي حلت بها، فالمكان قد اكتسب حيوية وأهميته من الشخصية وأصبح حيا

---

[330]–الثقافة، ع.س، ص238.

[331]–بخور السراب، ع.س، ص80.

[332]–م ، ن، ص26.

يتحرك بعدما كان جامدا لا يتجاوز حدوده الواقعية و الجغرافية"باعتبار أن المكان امرأة في إحدى تجلياتها و المرأة مكان بشري في إحدى تجلياته"[4].

و هذا ما جسدته شخصية"ميعاد"و شخصية "الجدة حليمة" في رواية "بخور السراب" حيث حلت الشخصيتان محل المكان، و أصبحت تعبر عن ألامه و أحزانه و جراحاته، و كذلك حمل المكان بعض سماتها و صفاتها فـــ:"هو الذي ينتج الشخصية و يحدد ملامحها و أفعالها"[333]

و هكذا نلاحظ أن العلاقة بين الشخصية و المكان هي علاقة ترابط و تجاذب، فالمكان هو الذي يحتضن الشخصية، و الشخصية هي التي تعمر المكان، فلا يمكن الحديث عن المكان في غياب الشخصية و لا عن الشخصية في غياب المكان، حيث عن "رد الفعل الذي تحدثه البيئة في الشخصيات قوي للغاية"[334]

و لعل الشخصية الروائية تطلب مكانا تحرك فيه و تتفاعل معه و تمتزج به نتيجة العلاقة الوثيقة بين هذين العنصرين؛ "هذه العلاقة المحكمة التي تجعل ملامـــــح الشخصيـــــة و دلالاتها ترسم على المكان، فيغنينا وصف المكان عن وصف الشخصيـــــــة لتداخلهمـــــا أو تكاملهما"[335]

و هذا ما وجدناه مجسدا في رواية "بخور السراب"حيث تلتقي الشخصية بالمكان (الوطن)لتمثل في محنته و مأساته و الفاجعة التي ألمت به.

والخلاصة أن الشخصية و المكان عنصران متلازمان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فالشخصية عنصر أساسي بالنسبة لكل عناصر الخطاب الروائي، و لولاها لما أمكننا أن نتحدث عن بنية سردية كاملة فـــ"الشخصية هي التي توجد المكان، و تنهض به نهوضا عجيبا، والحيز يخمد و يخرس إذا لم تسكنه هذه الكائنات الورقية العجيبة: الشخصيات"[4]

---

[4] - الآداب واللغات، ع.س، ص39

[333]–د. سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة(دار المعارف ط1، 1980م)، ص56.

[334]–الثقافة، ع س ص 66.

[335]–د. بشير محمودي، نظرية الرواية في النقد الجزائري الحديث،(رسالة مخطوطة لنيل شهادة دكتوره 2002/2001م)،ص 41.

[4] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية ، ع.س، ص104.

و هكذا أصبح مفهوم الشخصية يتداخل مع مفهوم المكان لدرجة أنـــه يستعـــــصي على القارئ التفريق بينهما، و خاصة بعد ظهور مفهوم الرواية الجديدة التي عرف فيها مفهوم الشخصية تعقيدا كبيرا.

5-علاقة الشخصية بالزمن:

إن الزمن عنصر ضروري من عناصر الخطاب الروائي، فالعمل السردي لا يشكل بنية إلا عن طريق تضافر مشكلاته السردية جميعها «فهو لحمة الحدث وملح السرد و صنو الحيز وقوام الشخصية»[336]

والشخصية لا تظهر إلا من خلال ارتباطها بالزمن الذي يحركها، فهو أساس وجودهـــا وكينونتها، فهي مرتبطة به ارتباطا وثيقا و لا يفارقها لحظة واحدة.
وقد انصب اهتمامه على الزمن النفسي باعتباره مرتبطا بالذات الإنسانية، فهي التي تؤطره و تصنعه فهو «زمن القلب و ما تشعر به الشخصية من أحاسيس و انفعالات. إنه زمن وجداني تحمل همسات النفس و أشجانها. إنه أصداء لما يجري في داخلها»[337]

و إن الزمن النفسي مرتبط ارتباطا وثيقا بالأحاسيس و المشاعـــــر و الإنفعـــــــالات، و قد يطول و قد يقصر حسب الحالة النفسية للشخصية «إنه زمن تقف فيه ساعة الحائط لتدق ساعة القلب»[338]، و تفسح المجال للجانب الداخلي للشخصيـــــــــة لتعبـــر عـــن معاناتهـــــــا و آلامهـــــــــا أو أمـــــالها و أفراحها «حيث تمتد جذور هذا الزمن في الذكريات و الآمال عبر التشققـــــات العاطفـــــية و المتداولة بين الانفعال و الهدوء حينا، و بين الحدة و الفتور أحيانا أخرى»[4].

---

[336] – د.عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية ، ع ، س ، ص121.

[337] – د.محبة خاج معتوق ،اثر الرواية الواقعية الغربية على الرواية العربية ع ، س ،ص 65.

[338] – سيزا قاسم ، بناء الرواية،(دار التنوير للطباعة والنشر ط1 1985 م) ص 69.

[4] – د.بشير بويجرة محمد، الزمن في الخطاب الروائي، ع. س.ص 176.

و هذا الزمن ناتج عن أحوال النفس البشرية و أوصابها و ما تحمله من آمال و آلام، فإذا كانت النفس في حالة الفرح و السعادة فإن الزمن يمرّ عليها كمرور السحاب، أما إذا كانت تعاني سقما أو حزنا فإن الزمن يطول و يتمدد و يثقل.

غير أن المدة الزمنية في حقيقتها، ثابتة لا تزيد و لا تنقص و إنما الذات هي التي تضفي عليها هالة من الطول أو القصر حسب أحوالها «فقد تكون الأيام متساوية بالنسبة إلى الساعـــة و لكنها ليست كذلك عند البشر بأي حال من الأحوال»[1].

و هذا ما نجده ماثلا في رواية «بخور السراب، حيث نلاحظ أن الشخصية تعيش ظروفا سيئة للغاية، جعلتها تحن إلى الماضي و تحاول الهروب من الحاضر الأليم بكـــــل مآسيـــــه و محنه.

و هكذا ولّد هذا الصراع في نفسية الشخصية و ضعا نفسيا حزينا يبعث في النفس القلق و التشاؤم و اليأس و الإنكسار «لأن الزمن الحاضر هو إفراز للزمن الماضي حيث أن النفس لا تستطيع أن تنفصل عن الزمن»[2]

و قد لجأ الروائي إلى تصوير الحالة النفسية لبعض شخصيات روايته التي لم تجد ملاذا سوى الهروب إلى عالم يطبعه الصفاء، و يميّزه النقاء، و لكنها سرعان ما تغرق في بحر التشاؤم و اليأس و الإنكسار النفسي.

«حيث أكون موزعا بين ذات تتأمل الماضي و أخرى تحاول أن تهرب إلى المستقبل، ينبعث صوت ميعاد من جديد. صوت مفزع، حان، دقيق، و قاتل..» [3].

إن الشخصية تعيش لحظة ضياع بين زمنين: ماض سعيد ولى و انتهى، و حاضر أليم أرخى سدوله عليها، فأحست بألم في داخلها و شعرت بإحباط نفسي أمام عظم المحنة التي حلت بها.

---

[1] – سيزا قاسم ،بناء الرواية ع ، س ،ص 69.

[2] – د. محبة حاج معتوق ،أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية ع ، س ، ص 85.

[3] – بخور السراب ، ع ، س ، ص 84.

«و كنت أتصور أن هذه الحالات و الوقائع بكل ما فيها من تعب للنفس و إرهـــاق للبـــدن، و جنون للحواس، و مصاعب للذهن، قد تأتي شيء مختلف كل الاختلاف، في هذه اللحظات ستظل ميعاد، ستظهر في مشهد حياتي، ستبزغ في ذلك الليل الطويل ليـــــل الروح و البلــد و الإنسان»[1].

إن طول الليل و شدة وطأته على الشخصية، و التعب النفسي و الإرهاق البدني و جنون الحواس كلها مصاعب صنعتها الذات من جراء واقعها الأليم.

«أنطمر تحت الأرض، تحت ركام الأهواء و الأوهام، أنطمر حتى لا يبقى من غير دوي الرعب، جنون الكلام، هوس اللامعنى، مرض الذاكرة، عصاب الأحلام»[2].

إن الراوي يصور حالته النفسية و ما يختلج بداخلها من خوف و رعب و توتـــر و قلـــق و اضطراب.

«كنت أريد مصارحة احد ما بما يختلج ذاتي فيوترها، و ما يعتريني من الداخل فيضيف لهمومه غمّا آخر. لكن الحرب و مشاكلها التي لا تنتهي كانت تجعلني أبتعد قدر الممكن عن الجميع»[3].

لقد حاول الروائي من خلال هذا المقطع السردي أن يصوّر لنا واقعا مرّا تعيشه الشخصية؛ هذا الواقع الذي أثر سلبا على نفسيتها، فبدت مفككة، منكسرة و مضطربة، وتائهة في متاهات لا حدود لها.

إن الشخصية تعيش تحت وطأة الزمن وثقله حيث أصبح الرعب و الخوف يعشعش بدواخلها نتيجة الواقع المعيش.

---

(1) – بخور السراب ع ، س، ص 84

(2) – م ، ن ، ص 95

(3) – م ، ن ، ص 06

«كنت أحس بالوقت يسرقني، و أنا بالكاد أحاول مسايرته و حتى فهمه، لم أكن أدرك الطريقة المثلى للقبض على ما يجعلني أحس بنفسي داخل دوامة الحياة كعضو فاعل. كعضو يقــدر، على الإندماج بشكل طبيعي في الواقع كما الآخرين»[1]

إن الشخصية تعيش في صراع دائم مع الزمن، تحس بأن الوقت يسرقها و يمر عليها مرورا سريعا، و هذا يدل على أن حالتها النفسية كانت مضطربة، متوترة، قلقة.

إن الزمن النفسي يختلف اختلافا كبيرا عن الزمن الطبيعي المادي، فالزمن النفسي يرتبط بمشاعرنا و عواطفنا،و أحاسيسنا و تصنعه ذواتنا، فقد يطول وقد يقصر حسب الحالة النفسية للشخصية.

و هكذا نلاحظ أن الزمن النفسي في رواية «بخور السراب» قد يطول و قد يقصر حسب الحالة النفسية للشخصية التي تبدو قلقة، مضطربة «نتيجة الصراع بيـــن ذات الشخصيـــة و المجتمع»[2].

و لهذا فإنه لا يمكن بأية حال من الأحوال فصل الزمن النفسي عن الجانب الداخلي الذي يمثل الأحوال النفسية للشخصية التي كثيرا ما تلجأ إلى اجترار الماضـــي للتخفيف من آلامها و أحزانها و معاناتها.

و هذا ما جعل الشخصية تحظى بعناية كبيرة من قبل النقاد والباحثين الذين اعتبروها بمثابة المحرك الفعال و الدعامة الأساسية في تطور و نمو الأحداث، بل أبعد من ذلك، فقد جعلوا علاقة وطيدة بينها وبين بقية مكونات الخطاب الروائي، فلا يمكن تصـــور الحــدث ولا المكان و لا الزمن و لا اللغة خارج الشخصية.

و بالرغم من تهجم بعض النقاد والروائيين الجدد على الشخصية، و إنكارهــم لأهميتها إلا أنهم لم يستطيعوا أن يستأصلوها كلية من أعمالهم الإبداعية و النقدية.

و هكذا اختلف النقاد و الباحثون حول هذا المكون السردي، فمنهم من جعل الشخصية مطابقة تماما لمفهوم الشخص الحقيقي، و منهم من اعتبرها مجرد شيء من الأشياء،

---

(1) – بخور السراب ع ، س، ص 65.

(2) – د. محبة حاج معتوق ، اثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية ع ، س ، ص 265.

شأنها شأن باقي عناصر الخطاب الروائي، حيث يرى "تودوروفToudonov"بأنها "شكل أجوف تملأه المساند المختلفة(كالأفعال و النعوت)"[339].

و من هنا نلاحظ إختلاف الرؤى و وجهات النظر حول هذا الموضوع(الشخصية)الذي جعل النقاد و الباحثين لا يثبتون على حال و لا يستقر بهم مقام"و لم يحتدم النقاش حول أي مشكل من مشكلات السرد، بمقدار ما احتدم حول الشخصية التي عدها التقليديون كل شـــيء في العمل السردي بعامة، و العمل الروائي بخاصة"[340].

و خلاصة لما سبق نلاحظ أن عناصر الخطاب الروائي مجتمعة تشكل بنيته و نسيجـــه، و الشخصية هي المحور الأساسي بالنسبة لبقية المكونات السردية الأخرى، إذن فلا بد لهـــا من حدث تؤديه و تقوم به، و مكان تملأه حركة و تبعث فيه الحياة، و زمن تتفاعل معه، و لغة تصطنعها و تبثها لتجعل النص الروائي حيا يتحرك بفضل هذه العناصر، و تشابكها فيما بينها،

فالبناء السردي يجب أن يكون متماسكا ومتكاملا، كل عنصر يكمل الآخر ويؤثر فيه، وعنصر الشخصية قد حظي بإهتمام كبير من قبل الباحثين مقارنة ببقية العناصر الأخرى وذلك نظرا لأهميته وحيويته داخل الشبكة السردية.

---

[1]– د.عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ع.س، ص121.

[2] – د.عبد الملك مرتاص، في نظرية الرواية ، ع.س، ص102.

الخاتمة:

كل ما يمكن قوله في خاتمة هذا البحث يتلخص في أن الروائي "بشير مفتي"قد حاول جاهـــدا أن يصور لنا –من خلال روايته "بخور السراب"–المجتمع الجزائري بكل ما يحمـــل مـــــن همـــــوم و ألام و آمال، و قد ركز على فترة التسعينيات؛ فترة العشرية السوداء، حيث جعل بعضا من شخصياته تتصهر في الوطن فكل ما عانته الشخصية أثناء هذه المرحلة يمثل معاناة الجزائر وجرحها العميق، كما بين لنا أن خيانة الوطن و عدم تمسك الجزائريين بماضيهم جعلهم يقعون فيما هم فيه.

و من خلال دراستي لبناء الشخصية في رواية"بخور السراب"يمكن أن نستخلص النقاط التالية:

– إن رسم الملامح الخارجية للشخصية تمكننا من التعرف على جانبها الباطني.

–لا يمكن فصل البناء الخارجي عن البناء الداخلي.

– إن البناء المورفولوجي يجعلنا نتعرف على هوية الشخصيات في النص السردي.

–إن تركيز الروائي كان على "شخصية ميعاد"باعتبارها تمثل الجزائر.

–إهتمام الدراسات النفسية بالشخصية إهتماما كبيرا.

– إن الإهتمام بالجانب السيكولوجي للشخصية يعتبر بمثابة الجولة داخل حياتها النفسية.

–إن شخصيات رواية"بخور السراب"تعيش تواترت كبيرة و أزمات نفسية حادة جراء الواقع المعيش.

–إن الشخصية هي العنصر الأساسي الذي يميز الأعمال السردية عن بقية الأجناس النثرية.

– إن عناصر الخطاب الروائي مجتمعة تشكل لحمة واحدة.

–تعتبر الشخصية عنصرا أساسيا تتمحور حوله باقي العناصر السردية.

–شدة احتدام النقاش و الصراع حول هذا المكون السردي.

–إن شخصية المؤلف متضمنة في شخصية الراوي.

-التداخل بين المكان و الشخصية، إذا أصبحت هذه الشخصيات منصهرة في المكان (الوطن).

-إن الجانب النفسي للشخصية يغلب عليه اليأس و يسيطر عليه الحزن نتيجة الواقع المعيش.

-إن الشخصيات في رواية بخور السراب تمثل الشخصية الجزائرية أثناء مرحلة العشرية السوداء.

-عدم إهتمام الروائي بالملامح المورفولوجية والصفات الحسية مقارنة بالبناء الداخلي للشخصية .

- محاولة الروائي جعل شخصيات روايته تعبر عن أفراد المجتمع الجزائري أثناء مرحلة التسعينيات.

- اهتمام الروائي بالطبقة المثقفة نظرا للدور الذي تلعبه في المجتمع .

و بعد هذه الجولة القصيرة بين صفحات رواية "بخور السراب"يمكننا طرح السؤال الآتي:

هل استطاعت هذه الرواية أن تصور بصدق ما عانته الجزائر أثناء هذه المرحلة؟

إلى أي مدى إستطاع "بشير مفتي" أن يوفق بين البناء الداخلي و الخارجي لشخصياته، و يجعلهما يلخصان معاناة الشخصية و همومها؟

كيف تمكن الروائي من خلال هذه الكائنات الورقية أن يجعلنا نعيش المحنة من جديد؟

هل رواية بخور السراب كافية للتعبير عن معاناة الشعب الجزائري خلال سنوات الجمر؟

قائمة المصادر والمراجع:

أولا المصادر:

-ابن هدوقة عبد الحميد، بان الصبح، الجزائر المؤسسة الوطنية لكتاب، ط 3 ، 1984م.

-ابن هدوقة عبد الحميد، ريح الجنوب، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

-مفتي بشير، بخور السراب، منشورات الإختلاف،ط1 ، 2004م

-سعدي إبراهيم، بوح الرجل القادم من الظلام، منشورات الإختلاف، ط1، 2002م.

ثانيا المراجع:

المراجع باللغة العربية:

01-إبراهيم نبيلة، فن القص بين النظرية و التطبيق القاهرة، مكتبة غريب،د.ط.د.ت.

02-إبراهيم سيد، نظرية الرواية، دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة،دار قباء،د.ط،1998م.

03- أبو شريفة عبد القادر و حسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر للطباعـــة و النشر و التوزيع، ط3، 2000م.

04-الباردي محمد، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، دمشق إتحاد الكتاب العرب، د، ط، 2000م.

05-المحادين عبد الحميد، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمان منيف، ط1، 1999م.

06- الحمداني حميد ، بنية النص السردي، لبنان، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991م.

07- يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في الضوء المنهج البنيوي، بيروت، دار الفارابي، ط2،1999م.

08- بنكراد سعيد ، مدخل إلى السيمياء السردية، الجزائر: منشورات الإختلاف، ط1، 2003م.

09- بن سالم عبد القادر ، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري، دمشق من منشورات اتحاد الكتاب العرب،د.ط 2001م.

10- بدر عبد المحسن طه، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، 1870-1938، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية، د، ط،1963م.
11-بشير بويجرة محمد، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري1970-1986، المؤثرات العامة في بنتي الخطاب و النص، دار الغرب للنشر و التوزيع،، ط1، 1987م.
12-بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية1970-1983الجزائر، دار الغرب للنشر و التوزيع، ط2 1987م.
13- جاسم الموسوي محسن، الرواية العربية، النشأة و التحول، بيروت: دار الآداب ط2، 1988م.
14- حاج معتوق محبة، أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط1، 1999م.
15- حسين سليمان، مضمرات النص و الخطاب، دراسة في عالم جبرا إبراهيم جبرا، دمشق: اتحاد كتاب العرب، د.ط،1999م.
16-خمار عبد الله، تقنيات الدراسة في الرواية ، الشخصية، الجزائر دار الكتاب العربي د.ط ، 1999م.
17- راغب نبيل، فن الرواية عند يوسف السباعي، بيروت، د، ط، د، ت.
18- راغب نبيل، فنون الأدب العالمي، لونجمان، الشركة المصرية العالمية للنشر،ط1،1996م.
19-رضوان عبد الله، البنى السردية، دراسات في القصة الأردنية، من منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، د.ط.د.ت.
20-طالب أحمد، الإلتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة في فترة مابين 1931-1971.
21- مبروك مراد عبد الرحمان، آليات المنهج الشكلي في نقد الرواية العربية المعاصرة، التحفيز نموذجا تطبيقا، دار الوفاء للطباعة و النشر، ط1، 2002م.
22-مخلوف عامر، تجارب قصيرة و قضايا كبيرة، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، د،ط، 1984م

23- مرتاض عبد الملك، ألف ليلة و ليلة، تحليل سيميائي، تفكيكي لحكاية حمال بغداد، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط1993م.
24- مرتاص عبد الملك، القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للنشروالتوزيع، ط2،د.ت.
25- مرتاض عبد الملك، تحليل الخطاب السردي، معالجة سيميائية تفكيكية مركبة لرواية دقاق المدقق، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط،1995م.
26- مرتاض عبد الملك ، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، الكويت، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والأدب، د.ط، 1998م.
27- موافي عثمان، في نظرية الأدب ، من قضايا الشعر و النثر في النقد الأدبي، ط2، 1999م.
28- مصايف محمد، دراسات في النقد و الأدب، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، د، ط،1981م.
29- نجار وليد، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1،1985م.
30- نجم يوسف محمد، فن القصة، بيروت: دار الشرق، الجامعة الأمريكية، ط1، 1996م.
31-نعيسة جهاد عطاء، في مشكلات السرد الروائي، دمشق: من منشورات دار الآداب ، ط1، 1988م.
32- النساج سيد حامد، بانوراما الرواية العربية الحديثة، القاهرة، دار المعارف، ط1،1970م.
33- صالح الطيب، عبقري الرواية العربية، بيروت، دار العودة، ط3، 1981م.
34- الصالح نضال، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، دمشق، اتحاد كتاب العرب، د.ط، د.ت.
35- عباس إبراهيم ، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية منشورات المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر و التوزيع، د.ط.د.ت.
36- عباس فيصل، التحليل النفسي للشخصية، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط1،1994م.

37- عزام محمد، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحدائية، دمشق، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط .2003
38- عكاشة شايف، مدخل إلى عالم الرواية الجزائرية، قراءة مفتاحية في منهج تطبيقي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط.ت.
39- عيد رجاء، قراءة في أدب نجيب محفوظ، رؤية نقدية ، الإسكندرية، منشأة المعارف ،د.ط.د.ت.
40-غالي شكري، الرواية العربية في رحلة العذاب، دار الهنا للطباعة، ط1، 1971م.
41- فاسي مصطفى، البطل في القصة التونسية حتى الإستقلال، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، د.ط1985م.
42- فيدوح عبد القادر، شعرية القص وهران،ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط.2003.
43- قاسم سيزا، بناء الرواية، دار التنوير للطباعة و النشر، ط1، 1985م.
44- سالم جورج، المغامرة الروائية، دراسات في الرواية العربية، دمشق، منشورات إتحاد الكتاب ، د.ط .1973
45- شاهين سمير الحاج، لحظة الأبدية، دراسة الزمان في الأدب القرن العشرين، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1-1980م.
46- السمرة محمد، في النقد الأدبي بيروت، دار المتحدة للطباعة و النشر و التوزيع، ط1،1984م.
47- سنقوقة علال، المتخيل و السلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، الجزائر، منشورات الإختلاف ط1،2000م.
48-شبلول فضل أحمد، الحياة في الرواية، قراءات في الرواية العربية والمترجمة، الإسكندرية، دار الوفاء للطباعة و النشر، د.ط.د.ت.
49- شرف عبد العزيز، الأسس الفنية للإبداع الأدبي، بيروت، دار الجيل، ط 1،1993م.
50- شرشار عبد القادر، الرواية البوليسية، بحث في النظرية و الأصول التاريخية و الخصائص الفنية و أثر ذلك على الرواية العربية، دمشق، من منشورات إتحاد الكتاب العرب، د.ط2003 م

51- شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ،دمشق ،اتحاد كتاب العرب د.ط.د.ت.
52 - يقطين سعيد، إنفتاح النص الروائي-النص والسياق-بيروت، مركز الثقافي العربي، ط2،2001م.

المراجع المترجمة:

53- بيبتور ميشال، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس،، بيروت ، منشورات عويدات، ط1،1971م.
54- روب قريي آلان، نحو رواية جديدة، تر: مصطفى إبراهيم مصطفى، تقديم لويس عوض، القاهرة، دار المعارف بمصر.
55- مخائيل باختين ، تحليل الخطاب الروائي، تر محمد برادة، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر و التوزيع، ط ،1987م
56-مرسلي دليلة و آخرون، مدخل إلى البيميولوجيا، تر: عبد الحميد بورايو،الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، ط1،1995م.
57- فاليت برنار ،الرواية ،مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي ،الجزائر دار الحكمة، د . ط ، 2002م.

الرسائل و الأطروحات الجامعية:

01- البصير محمد، الموقف الثوري في الرواية الجزائرية المعاصرة، 1970-1982م رسالة مخطوطة لنيل الماجستير، 1985-1986م.
02-بن جدو موسى ، الشخصية الدينية في روايات الطاهر وطار، رسالة مخطوطة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر1985-1990م.
03-بن يمينة رشيد، بواكير الرواية الجزائرية،دراسة تحليلية لرواية حكاية العشاق في الحب والإشتياق، رسالة مخطوطة لنبيل شهادة الماجستير2004/2003م.
04- محمد داود، الرواية الجديدة بفرنسا 1950-1970 ، مقاربة سوسيو نقدية، رسالة مخطوطة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة وهران2004/2003م.
05-محمودي بشير ، البنية السردية في الرواية الجزائرية المعاصرة، البحث عن الوجه الآخر نموذجا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران1997-1998م.

06- محمودي بشير ، نظرية في النقد الجزائري الحديث، رسالة مخطوطة لنيل شهادة دكتوراه، 2002-2003م.
07-مرزق هداية ، الشخصية الروائية عند الطاهر وطار رسالة، مخطوطة لنيل درجة الماجستير1986-1987م.
08-ملياني محمد ، ثنائية الصراع و العنف في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، رسالة مخطوطة لنيل شهادة الماجستير،2000م.

المجالات والدوريات :

01-آفاق، إتحاد كتاب المغرب، العدد8-9-1988م
02- الآداب و اللغات، مجلة يصدرها قسم اللغة العربية و آدابها جامعة الأغواط، العدد01ديسمبر2004م.
03- التبيين، العدد09، الرواية وفعاليات القص قراءة في رواية ليلة القدر، الطاهر بن جلون.
04- تجليات الحداثة، مجلة يصدرها معهد اللغة العربية و آدابها جامعة وهران، العدد 3 يونيو 1994م.
05-الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الإتصال و الثقافة، الجزائر، العدد 112،1996م
06- الثقافة ،مجلة تصدرها وزارة الاتصال والثقافة ، الجزائر، العدد 114 ،1998م.

فهرس الموضوعات

قائمة المصادر والمراجع:

أولا المصادر:

-ابن هدوقة عبد الحميد، بان الصبح، الجزائر المؤسسة الوطنية لكتاب، ط 3 ، 1984م.

-ابن هدوقة عبد الحميد، ريح الجنوب، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

-مفتي بشير، بخور السراب، منشورات الإختلاف،ط1 ، 2004م

-سعدي إبراهيم، بوح الرجل القادم من الظلام، منشورات الإختلاف، ط1، 2002م.

ثانيا المراجع:

المراجع باللغة العربية:

01-إبراهيم نبيلة، فن القص بين النظرية و التطبيق القاهرة، مكتبة غريب،د.ط.د.ت.

02-إبراهيم سيد، نظرية الرواية، دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة،دار قباء،د.ط،1998م.

03- أبو شريفة عبد القادر و حسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر للطباعـــة و النشر و التوزيع، ط3، 2000م.

04-الباردي محمد، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، دمشق إتحاد الكتاب العرب، د، ط، 2000م.

05-المحادين عبد الحميد، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمان منيف، ط1، 1999م.

06- الحمداني حميد ، بنية النص السردي، لبنان، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991م.

07- يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في الضوء المنهج البنيوي، بيروت، دار الفارابي، ط2،1999م.

08- بنكراد سعيد ، مدخل إلى السيمياء السردية، الجزائر: منشورات الإختلاف، ط1، 2003م.

09- بن سالم عبد القادر ، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري، دمشق من منشورات اتحاد الكتاب العرب،د.ط 2001م.

10- بدر عبد المحسن طه، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، 1870-1938، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية، د، ط،1963م.
11-بشير بويجرة محمد، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري1970-1986، المؤثرات العامة في بنتي الخطاب و النص، دار الغرب للنشر و التوزيع،، ط1، 1987م.
12-بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية1970-1983الجزائر، دار الغرب للنشر و التوزيع، ط2 1987م.
13- جاسم الموسوي محسن، الرواية العربية، النشأة و التحول، بيروت: دار الآداب ط2، 1988م.
14- حاج معتوق محبة، أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط1، 1999م.
15- حسين سليمان، مضمرات النص و الخطاب، دراسة في عالم جبرا إبراهيم جبرا، دمشق: اتحاد كتاب العرب، د.ط،1999م.
16-خمار عبد الله، تقنيات الدراسة في الرواية ، الشخصية، الجزائر دار الكتاب العربي د.ط ، 1999م.
17- راغب نبيل، فن الرواية عند يوسف السباعي، بيروت، د، ط، د، ت.
18- راغب نبيل، فنون الأدب العالمي، لونجمان، الشركة المصرية العالمية للنشر،ط1،1996م.
19-رضوان عبد الله، البنى السردية، دراسات في القصة الأردنية، من منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، د.ط.د.ت.
20-طالب أحمد، الإلتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة في فترة مابين 1931-1971.
21- مبروك مراد عبد الرحمان، آليات المنهج الشكلي في نقد الرواية العربية المعاصرة، التحفيز نموذجا تطبيقا، دار الوفاء للطباعة و النشر، ط1، 2002م.
22-مخلوف عامر، تجارب قصيرة و قضايا كبيرة، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، د،ط، 1984م

23- مرتاض عبد الملك، ألف ليلة و ليلة، تحليل سيميائي، تفكيكي لحكاية حمال بغداد، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط1993م.
24- مرتاص عبد الملك، القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للنشروالتوزيع، ط2،د.ت.
25- مرتاض عبد الملك، تحليل الخطاب السردي، معالجة سيميائية تفكيكية مركبة لرواية دقاق المدقق، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط،1995م.
26- مرتاض عبد الملك ، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، الكويت، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والأدب، د.ط، 1998م.
27- موافي عثمان، في نظرية الأدب ، من قضايا الشعر و النثر في النقد الأدبي، ط2، 1999م.
28- مصايف محمد، دراسات في النقد و الأدب، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، د، ط،1981م.
29- نجار وليد، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1،1985م.
30- نجم يوسف محمد، فن القصة، بيروت: دار الشرق، الجامعة الأمريكية، ط1، 1996م.
31-نعيسة جهاد عطاء، في مشكلات السرد الروائي، دمشق: من منشورات دار الآداب ، ط1، 1988م.
32- النساج سيد حامد، بانوراما الرواية العربية الحديثة، القاهرة، دار المعارف، ط1،1970م.
33- صالح الطيب، عبقري الرواية العربية، بيروت، دار العودة، ط3، 1981م.
34- الصالح نضال، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، دمشق، اتحاد كتاب العرب، د.ط، د.ت.
35- عباس إبراهيم ، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية منشورات المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر و التوزيع، د.ط.د.ت.
36- عباس فيصل، التحليل النفسي للشخصية، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط1،1994م.

37- عزام محمد، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحدائية، دمشق، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط .2003
38- عكاشة شايف، مدخل إلى عالم الرواية الجزائرية، قراءة مفتاحية في منهج تطبيقي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط.ت.
39- عيد رجاء، قراءة في أدب نجيب محفوظ، رؤية نقدية ، الإسكندرية، منشأة المعارف ،د.ط.د.ت.
40-غالي شكري، الرواية العربية في رحلة العذاب، دار الهنا للطباعة، ط1، 1971م.
41- فاسي مصطفى، البطل في القصة التونسية حتى الإستقلال، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، د.ط1985م.
42- فيدوح عبد القادر، شعرية القص وهران،ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط.2003.
43- قاسم سيزا، بناء الرواية، دار التنوير للطباعة و النشر، ط1، 1985م.
44- سالم جورج، المغامرة الروائية، دراسات في الرواية العربية، دمشق، منشورات إتحاد الكتاب ، د.ط .1973
45- شاهين سمير الحاج، لحظة الأبدية، دراسة الزمان في الأدب القرن العشرين، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1-1980م.
46- السمرة محمد، في النقد الأدبي بيروت، دار المتحدة للطباعة و النشر و التوزيع، ط1،1984م.
47- سنقوقة علال، المتخيل و السلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، الجزائر، منشورات الإختلاف ط1،2000م.
48-شبلول فضل أحمد، الحياة في الرواية، قراءات في الرواية العربية والمترجمة، الإسكندرية، دار الوفاء للطباعة و النشر، د.ط.د.ت.
49- شرف عبد العزيز، الأسس الفنية للإبداع الأدبي، بيروت، دار الجيل، ط 1،1993م.
50- شرشار عبد القادر، الرواية البوليسية، بحث في النظرية و الأصول التاريخية و الخصائص الفنية و أثر ذلك على الرواية العربية، دمشق، من منشورات إتحاد الكتاب العرب، د.ط2003 م

51- شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ،دمشق ،اتحاد كتاب العرب د.ط.د.ت.
52 - يقطين سعيد، إنفتاح النص الروائي-النص والسياق-بيروت، مركز الثقافي العربي، ط2،2001م.

المراجع المترجمة:

53- بيبتور ميشال، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس،، بيروت ، منشورات عويدات، ط1،1971م.
54- روب قريي آلان، نحو رواية جديدة، تر: مصطفى إبراهيم مصطفى، تقديم لويس عوض، القاهرة، دار المعارف بمصر.
55- مخائيل باخنين ، تحليل الخطاب الروائي، تر محمد برادة، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر و التوزيع، ط ،1987م
56-مرسلي دليلة و آخرون، مدخل إلى البيميولوجيا، تر: عبد الحميد بورايو،الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، ط1،1995م.
57- فاليت برنار ،الرواية ،مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي ،الجزائر دار الحكمة، د . ط ، 2002م.

الرسائل و الأطروحات الجامعية:

01- البصير محمد، الموقف الثوري في الرواية الجزائرية المعاصرة، 1970-1982م رسالة مخطوطة لنيل الماجستير، 1985-1986م.
02-بن جدو موسى ، الشخصية الدينية في روايات الطاهر وطار، رسالة مخطوطة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر1985-1990م.

03-بن يمينة رشيد، بواكير الرواية الجزائرية،دراسة تحليلية لرواية حكاية العشاق في الحب والإشتياق، رسالة مخطوطة لنبيل شهادة الماجستير2003/2004م.
04- محمد داود، الرواية الجديدة بفرنسا 1950-1970 ، مقاربة سوسيو نقدية، رسالة مخطوطة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة وهران2003/2004م.
05-محمودي بشير ، البنية السردية في الرواية الجزائرية المعاصرة، البحث عن الوجه الآخر نموذجا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران1997-1998م.
06- محمودي بشير ، نظرية في النقد الجزائري الحديث، رسالة مخطوطة لنيل شهادة دكتوراه، 2002-2003م.
07-مرزق هداية ، الشخصية الروائية عند الطاهر وطار رسالة، مخطوطة لنيل درجة الماجستير1986-1987م.
08-ملياني محمد ، ثنائية الصراع و العنف في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، رسالة مخطوطة لنيل شهادة الماجستير،2000م.

المجالات والدوريات :

01-آفاق، إتحاد كتاب المغرب، العدد8-9-1988م
02- الآداب و اللغات، مجلة يصدرها قسم اللغة العربية و آدابها جامعة الأغواط، العدد01ديسمبر2004م.
03- التبيين، العدد09، الرواية وفعاليات القص قراءة في رواية ليلة القدر، الطاهر بن جلون.
04- تجليات الحداثة، مجلة يصدرها معهد اللغة العربية و آدابها جامعة وهران، العدد 3 يونيو 1994م.
05-الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الإتصال و الثقافة، الجزائر، العدد 112،1996م
06- الثقافة ،مجلة تصدرها وزارة الاتصال والثقافة ، الجزائر، العدد 114 ،1998م.

فهرس الموضوعات

الإهـــــــداء

المقدمة

المدخل.....09

الفصل الأول:

البناء الشكلي للشخصية.

1- ملامح الوجه و قسماته.....17

2- لباس الشخصية.....23

3- سيميائية اللون.....25

4- سن الشخصية.....32

5- سيميائية الأسماء.....38

الفصل الثاني:

البناء السيكولوجي للشخصية.

1- البناء الوجداني للشخصية.....50

2- إنشطار الذات.....55

3- حب العزلة.....57

4- الخوف الذي يسكن الشخصية.....64

5- ثقافة الشخصية.....70

الفصل الثالث :

إشكالية التواجد بين الشخصية و محيطها.

1- علاقة الشخصية بالحدث.....78

2- علاقة الشخصيات فيما بينها.....89

3- علاقة الشخصية بالحوار.....92

4- علاقة الشخصية بالمكان..... 96
5- علاقة الشخصية بالزمن.....101
- الخاتمـــــــــــة.....103
- فهرس المصادر و المراجع.....110
- فهرس الموضوعات 113